الدبلوماسية البريطانية في أوروبا
(١٧١٤ – ١٧٥٦)

أ. م. د. حسن زغير حزيم
كلية التربية / الجامعة المستنصرية – قسم التاريخ
الإيميل hasan1975.edbs@uomustairiyah.edu.iq

الدبلوماسية البريطانية في أوروبا (١٧١٤ – ١٧٥٦)

أ. م. د.حسن زغير حزيم

الملخص:

انتهجت بريطانيا منذ انتهاء حربها مع فرنسا نهاية القرن السابع عشر، لمدة خمسة وأربعين سنة، دبلوماسية جديدة، إذ أصبح الحكم على الأحداث لا يلتزم بالمبادئ والقيم الأخلاقية بل تنظر إلى مصلحة بلاد، واستندت العلاقات الدولية الأوروبية إلى مبدأ التوازن الدولي، الذي لا يسمح لأي دولة أنْ تصبح من القوة يصعب مواجهتها من قبل الدول الأُخرى، وهو يُفسر الدبلوماسية البريطانية الجديدة، التي سعت للتوجيه والاستفادة من الصراع على النفوذ في أوروبا بين أُسرة آل بوربون الحاكمة في فرنسا وأُسرة آل هابسبرغ الحاكمة في النمسا ليصبّ في مصلحة بريطانية. طرأ على هذا الصراع تطوُّر بانتقاله للسيطرة على التجارة وطرقها مع المستعمرات الأمريكية للحصول على ثروتها. لذا بات تطبيق مبدأ التوازن الدولي مهماً لمنع الدول المنافسة لبريطانيا (فرنسا وإسبانيا والنمسا وروسيا وبروسيا وهولندا والبرتغال) من فرض نفوذها في أوروبا بالقوة والظرف بالمناطق الاستراتيجية في المستعمرات للهيمنة على تجارتها، وضمنت لنفسها الهيمنة على التجارة مع المستعمرات.

قسمت معاهدة أوترخت الدول الأوروبية بشكلٍ متوازن ومتكافئ لمنع تفوق إحداها على الأُخرى ولإرغامها جميعاً. كما حافظت بريطانيا على حاجة تلك الدول لمساعدتها المالية والعسكرية. فقدت فرنسا الأمل بالتوسُّع في ممتلكات إسبانيا، وقطعت إسبانيا علاقتها بشكلٍ تامٍّ بالتاج الفرنسي، وفقدت فرنسا الأمل بالتوسُّع في المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية.

Since the end of its war with France at the end of the seventeenth century, for a period of forty-five years, Britain pursued a new diplomacy, as the judgment on events became not bound by the principles and moral values but rather looked at the interest of a country, and European international relations were based on the principle of international balance, which does not allow any country To become a force that is difficult to confront by other countries, and he explains the new British diplomacy, which sought to direct and benefit from the struggle for influence in Europe between the Bourbon family and the Habsburg family to serve a British interest.

This conflict evolved as he moved to control trade and its ways with the American colonies to obtain its wealth. Therefore, the application of the principle of international balance has become important to prevent the competing countries of Britain from imposing their influence in Europe by force

and circumstance in the strategic regions in the colonies to dominate their trade, and it secured for itself the domination of trade with the colonies.

The Treaty of Utrecht divided the European states in a balanced and equal way to prevent one from leaving one against the other and to compel them all. Britain also maintained the need of these countries for their financial and military assistance. France lost hope of expanding Spain's possessions, Spain completely cut off its relationship with the French crown, and France lost hope of expanding Spanish colonies in South America.

المقدمة:

تُعد الدبلوماسية نشاط الحكومة بالخارج لحماية مصالح بلادها أو إقامة علاقات صداقة وتعاون بالمجالات كافة مع الدول الأخرى أو لمواجهة الأزمات التي تهدد الأمن والسلام أو تهدد سلامة مواطنيها في أي دولة أخرى ونجاح الدبلوماسية للدولة يثبت قدرتها على التأثير خارج أراضيها. ازداد احتياج بريطانيا لاتباع الدبلوماسية في النصف الأول من القرن الثامن عشر بسبب تزايد النفوذ الفرنسي في أوروبا وتفاقم الصراع بين فرنسا وبريطانيا حول المستعمرات والتجارة الخارجية في المستعمرات الامريكية لتحقيق مصالحها.

لم تتبع بريطانيا دبلوماسية ثابتة أنما كانت عرضه للتغيير دائماً بسبب توتر العلاقات بين الأسر الأوروبية الحاكمة أو حدوث التطورات الداخلية في الدول الأوروبية أو حدوث أزمات اقتصادية في أي الدول، فقد عقدت الدبلوماسية البريطانية معاهدة أوترخت في عام ١٧١٣ لمنع أنهيار مبدأ التوازن الدولي لأن الأرشدوق النمساوي شارل المرشح للعرش الإسباني أصبح الوريث الوحيد للعرش الإمبراطوري، الأمر الذي ترفضه بريطانيا.

لعبت الدبلوماسية البريطانية دور كبير في توازن الدول الأوروبية عبر استخدام طريقة جديدة فريدة ومعقدة بعقد سلسلة معاهدات سياسية لمنع الدعم الدول الأوروبية أسرة آل ستوارت المطالبة بالعرش لبريطاني وضمان مصالح بريطانيا في أوروبا وتوسيع التجارة الخارجية والتوسع بالمستعمرات. تحالفت بريطانيا مع الدول (فرنسا في عام ١٧١٥ والنمسا وهولندا وبروسيا في عام ١٧١٧ وروسيا والسويد في عام ١٧١٨ وإسبانيا في عام ١٧١٩) لم يمنع الاختلاف الأيديولوجي مع الدول الأوروبية بريطانيا للتحالف معها للمحافظة على مبدأ التوازن الدولي الأوروبي.

لا تثق الدول الأوروبية بقوة تأثير بريطانيا لعدم امتلاكها جيش بري كبير، بيد أن ذلك أثبتت الدبلوماسية البريطانية عدم صحتها وفرضت بريطانيا نفوذها وتأثيرها وتجارتها وسيطرتها في أوروبا والمستعمرات الامريكية. لم تتوقع الدبلوماسية البريطانية قيام حلف أسر آل بوربون ضدها في عام ١٧٣٣. تمكنت الدبلوماسية البريطانية في عهد وربنسون (وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب)

من عقد عدة معاهدات سياسية منها معاهدات بريسلاو وفويسين وهانوفر ودريسدن، إذ نصحت الدبلوماسية البريطانية ماريا تيريزا لعقد معاهدة دريسدن في عام ١٧٤٢ مع الملك فردريك الثاني والتنازل له عن مقاطعة سيليزيا وحصن غلاتز للقضاء على تحالفه مع فرنسا وتبديد أحلامها بالتوسع على حساب ممتلكات أسرة آل هابسبورغ في الأراضي الإيطالية والمنخفضة النمساوية بسبب غياب التفاهم بين الدول الأوروبية. عكست المعاهدات والاتفاقيات السياسية والتجارية جهود فوضوية غير منظمة من قائد الدبلوماسية البريطانية لتحقيق التفاهيم الدولي الأوروبي لاجتناب حدوث حرب جديدة.

الفصل الأول: مشاركة إنكلترا بحرب الوراثة الاسبانية حتى العام ١٧١٣:

المبحث الأول: التزام إنكلترا بمبدأ التوازن الدولي في أوروبا:

تتبع إنكلترا سياسة خارجية لمتابعة مصالحها وعلاقاتها الدولية في المجالات كافة مع الدول الأخرى أو للحصول دعم الدول لمواجهة أي خطر أو أزمة تواجه مصالح تلك الدولة أو لممارسة الضغط السياسي والاقتصادي والعسكري على دولة أو أكثر لأجبارها انتهاج سياسة تلك الدولة أو دعم السلام أو احترام حقوق الإنسان ... الخ، وفق عدة طرق وخطوات تسمى دبلوماسية ونجاح الدبلوماسية لإنكلترا يثبت قدرتها على التأثير خارج أراضيها[١].

لم تضع إنكلترا خطط واضحة لسياستها الخارجية، إذ كانت تتعامل دول أخرى وفقاً للأحداث التي تطرء على الساحة الدولية دون وجود خطة واضحة لسياستها الخارجية. تُعد الدبلوماسية من أهم وسائل تنفيذ السياسة الخارجية باستخدام القوة الناعمة تجذب الدول الأخرى لسياسة تلك الدولة[٢].

استخدمت الدبلوماسية الإنكليزية عدة طرق لإيصال رسالتها، منها المخاطبات المباشرة مع البعثات الدبلوماسية للدول والنقابات المهنية والأحزاب السياسية والمنظمات المجتمع المدني والمؤسسات الخاصة والحكومية، لكسب الرأي العام الدولي عبر وسائل الأعلام أو المنح الدراسية والاقتصادية والعسكرية لتحقيق أهداف سياسة إنكلترا الخارجية[٣].

تُعد إنكلترا محمية بالبحار يحرسها أسطول قوي، لذا لم يكن لديها ما يقلقها من تطور الأحداث الأوروبية، التي تدخلت مباشرةً فيها لرعاية مصالحها وضمان نفوذها في اوروبا[٤]. أتبعت إنكلترا في عهد ملكها شارل الثاني (١٦٦٠ – ١٦٨٨) سياسة خارجية تعتمد على التدخل المباشر العسكري لمنع توسع فرنسا على حساب جيرانها مما يهدد مبدأ التوازن الدولي[٥]. شكلت إنكلترا حلف ثلاثي في أيار عام ١٦٦٨ ضد ملك فرنسا لويس الرابع عشر (١٦٨٤ – ١٧١٥) ضم السويد وهولندا. اضطر الأخير لوقف تقدمه في الأراضي المنخفضة الإسبانية وقبول الصلح مع إسبانيا. ثم أجرت الدبلوماسية الانكليزية مفاوضات سرية مع فرنسا والسويد وأمير بافاريا وأمير براندنبرغ في عام ١٦٧٢ ضد هولندا بسبب منافستها التجارية لإنكلترا. استطاع رئيس جمهورية هولندا وليم أورنج (١٧١١ – ١٧٥١) عقد صلحاً مع

شارل الثاني في شباط عام ١٦٧٤ وتكوين الحلف لأعظم في لاهاي ضم أمراء برنزويك وبراندنبرغ وهيس والإمبراطورية الرومانية المقدسة وملك الدانمارك وملك الإسباني وملك ضد فرنسا. حققت فرنسا، رغم ذلك، انتصار على هولندا وحلفائها فاضطروا لعقد صلح نمويجن للمدة من (٦ آب عام ١٦٧٨ لغاية ٩ شباط عام ١٦٧٩) زاد من نفوذ فرنسا في أوروبا، للحد الذي جعل فرنسا تتدخل بالشؤون الداخلية لأنكلترا وتساند الملك الكاثوليكي جيمس الثاني (١٦٨٨ – ١٦٨٩) ضد البرلمان الإنكليزي[٦].

كونت هولندا حلف أوجزبرغ في عام ١٦٨٦ ضد فرنسا ضم السويد والإمبراطورية الرومانية المقدسة وإسبانيا وبافاريا وسكسونيا والبلاتينات وسوابيا وفرانكفورت. ثم أنضمت سافوي والبابوية في عام ١٦٨٧ اشتركت إنكلترا بالحلف في عام ١٦٨٩ للمحافظة على بنود معاهدة نمويجن. فاندلعت الحرب بين قوات الحلف وفرنسا انتهت بهزيمة فرنسا وتوقيعها صلح روزويك ١٦٩٧. اعترف الملك لويس الرابع عشر بوليم الثالث William III (١٦٨٩ – ١٧٠٢) ملك لإنكلترا وتنازلت فرنسا عن كل الأراضي التي استولت عليها بعد معاهدة نمويجن عدا ستراسبورغ[٧].

ادعى الملك لويس الرابع عشر عدم دفع ملك إسبانيا شارل الثاني (١٦٦٥ – ١٧٠٠) مبلغ خمسمائة ألف جنيه إسترليني التي نصت عليه الاتفاقية الموقعة معه سابقاً وطالب ملك فرنسا بأحقية حفيده فيليب دوق انجو لوراثة العرش الأسباني[٨]. ثم أجرى ملك فرنسا مفاوضات سرية مع الملك وليم الثالث في أذار عام ١٧٠٠ انتهت بعقد اتفاقية لندن نصت تقسيم ممتلكات الإسبانية بين فرنسا والإمبراطورية النمساوية عند وفاة ملك إسبانيا. بيد ان الملك لويس الرابع عشر تنصل عن تعهداته، بعد وصية الملك الإسباني في شهر تشرين الأول من السنة بالعرش لحفيد ملك فرنسا فيليب، ورفض الملك لويس الرابع عشر تنفيذ بنود معاهدة لندن[٩].

وافقت إنكلترا بذلك، بيد أن الملك لويس الرابع عشر أتخذ عدة خطوات تصعيدية، أعلن حق حفيده بوراثة عرش فرنسا ودمجه مع العرش الاسباني. واحتلت قواته الأراضي الإسبانية لتنصيب حفيده فيليب على عرش إسبانيا بإسم فيليب الخامس (١٧٠٠ – ١٧٤٦) وحصلت فرنسا على امتيازات تجارية في المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية. وزحفت القوات الفرنسية نحو الأراضي المنخفضة الأسبانية لاحتلالها[١٠].

رفضت إنكلترا توسع نفوذ فرنسا لأنه يتجاوز مبدأ التوازن الدولي الاوروبي، وبذل الملك وليم الثالث جهود كبيرة في عام ١٧٠١ لتشكيل الحلف الأعظم مع هولندا والنمسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة ضد فرنسا لمنعها من توسيع نفوذها في أوروبا[١١].

يطلق على الدبلوماسية الإنكليزية في النصف الأول من القرن الثامن عشر بالمتاهة المعقدة، إذ اهتمت الدبلوماسية بمبدأ التوازن الدولي الأوروبي وبذلت جهود لتقوية الحلف الأعظم، فأجرت مفاوضات سرية مع البرتغال توصلت لانضام الأخيرة الى صفوف الحلف بعد توقيع الدولتين معاهدة ميتوين في عام

١٧٠٢. نصت على تخفيض الرسوم الكمركية الإنكليزية على الخمر البرتغالي مقابل حصول الأخيرة على امتيازات تجارية في البرازيل واشتركت البرتغال بالحلف الأعظم وابتعدت عن فرنسا. وتحولت لشبونة إلى محطة تجارية إنكليزية(١٢).

تحدى الملك لويس الرابع عشر الحلف الأعظم، اعترف بحق جيمس أدوارد (ابن الملك جيمس الثاني) من أسرة آل ستيوارت لتولي عرش إنكلترا. فطالب وليم الثالث في ١٣ أذار البرلمان الإنكليزي الاعتمادات المالية اللازمة لدعم حلفائه بالحرب. لكنه توفي في السنة نفسها. تولت الملكة آن (إبنة الملك جيمس الثاني) (١٧٠٢ – ١٧١٤) العرش واشتركت في الحرب ضد فرنسا بشكل غير مباشر ووسعت الحلف بانضمام سافوي إليه(١٣). استطاعت قوات الحلف الأعظم الحاق هزيمة بالقوات الفرنسية وهددت العاصمة الفرنسية فرساي بشكل مباشر. بيد ان بريطانيا لا تهدف لاحتلال أراضي فرنسا وانما تهدف لمنع توسيع نفوذها(١٤).

لم تملك إنكلترا جيش كبير لأن عدد سكانها نحو (٥.٨٢٦.٠٠٠) نسمة في عام ١٧٠٢. لكنها تملك اسطول كبير يتكون من (١٥٠) بارجة حربية كبيرة بالإضافة لفرض إنكلترا على أسطول حليفتها هولندا تقديم المساعدة للأسطولها لمواجهة التنافس الفرنسي لها، مما يؤثر إيجاباً على سير المعارك في أوروبا. بالمقابل تمتلك فرنسا جيش كبير يبلغ نحو (١٢٥) ألف جندي و (٧,٠٠٠) من الفرسان لأن عدد سكانها كبير يبلغ (١٨.٥٠٠.٠٠٠) نسمة بالعام نفسه(١٥).

جعل إنكلترا تتبع طريقة خاصة لتحقيق مصالحها عبر اتباع دبلوماسية جديدة للمحافظة على مبدأ التوازن الدولي الاوروبي، واستنزاف فرنسا من جرها للحرب اقتصرت مشاركة بريطانيا فيها بواسطة تقديم الدعم والمساعدات المالية لحلفائها وتقديم الأسطول البريطاني الدعم لقوات الدول الحليفة لبريطانيا، دعمت إنكلترا ولي عهد النمسا الأرشيدوق شارل لتولي عرش إسبانيا لمنع فرنسا من التوسع على حساب جيرانها مما يهدد مصالح إنكلترا في أوروبا والمستعمرات الإسبانية الأمريكية. هاجم الأسطول الإنجليزي في ٧ نيسان عام ١٧٠٥ مينائي برشلونة وطولون. وناشد دوق مانشستر (سفير إنكلترا في البندقية) البابا بإعلان الحرب ضد فرنسا وهدده باحتلال الأسطول الإنجليزي لمدينة روما إذ رفض ذلك. ونقل الأسطول الإنكليزي القوات النمساوية إلى الأراضي البرتغالية وأنزل جزء منهم في إقليم كاتالونيا الإسباني في عام ١٧٠٥ تم احتلاله وزحفت هذه القوات مع الجماهير الشعب الإسباني نحو العاصمة مدريد، فانتشرت الاضطرابات والحرب الأهلية في إسبانيا اضطرت الملك فيليب الخامس للهرب الى فرنسا(١٦).

عقدت الدبلوماسية الإنكليزية سلسلة معقدة من المعاهدات والاتفاقيات السياسية والعسكرية تحالف بموجبها مع بعض الدول الأوروبية لضمان مصالحها في أوروبا، كلفت هذه الدبلوماسية الحكومة الإنكليزية عبئاً ثقيلاً نتيجة المتابعة المستمرة لتطور الأحداث الأوروبية(١٧).

استخدمت الدبلوماسية الإنكليزية شبكات التجسس المتطورة والشفرات السرية لتأمين سرية مراسلات بعثاتها الدبلوماسية، إذ تخشى الدبلوماسية الإنكليزية تمكن الاستخبارات الأوروبية فك شفرات رسائلها الدبلوماسية. كانت الدبلوماسية الإنكليزية تتنصل على مراسلات البعثات الدبلوماسية الأجنبية في لندن وبقية العواصم الأوروبية، إذ نمت الدبلوماسية الإنكليزية عملية جمع المعلومات الاستخباراتية وطبقت النظرية العلمية في عمل جهازها الدبلوماسي. كذلك قدمت الدبلوماسية الإنكليزية الدعم المادي لحلفاء إنكلترا لتجهيز جيوشها للاستعداد لإي مواجهة عسكرية مع فرنسا[١٨].

قدمت الدبلوماسية الإنكليزية الرشاوي لتنصيب حليفها على عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة في ٣ حزيران. كذلك ارتشاء السفراء الأوروبيين، إذ كونت الدبلوماسية الإنكليزية شبكة فريدة من التحالفات مع الدول الأوروبية باستغلال علاقاتها الجيدة بالسفراء الإوروبيين في لندن [١٩].

تأثرت الدبلوماسية الإنكليزية بشدة بالخلافات الشخصية التي تحدث بين الوزراء ومستشارين البلاط والشركات التجارية الإنكليزية بسبب طبيعة مصالح هؤلاء الأشخاص المؤثرين بسياسة إنكلترا الخارجية في ضوء النظام الأوليجاركي الذي يحكم البلاد. ولعبت الخلافات الحزبية دور كبير في تنصيب الدبلوماسيين البريطانيين وعزلهم مثلما أشار توماس روبنسون (سفير إنكلترا في لاهاي) الى زميله أندروستون (وزير خارجية إنكلترا مسؤول دائرة الجنوب) بأنهما يعتبران من رجال الدوق نيوكاسل[٢٠].

كانت الملكة عادةٍ ما تكلف الدبلوماسيين الإنكليز بمهام سرية لدعم الطموحات القومية لدى مكونات شعوب الدول الأوروبية، مثلما ذكر جورج ستيبني (سفير بريطانيا في فيينا) في ٧ أيار عام ١٧٠٧ أنه تلقى أوامر من لندن تطالبه بدعم جدي لطموحات المجر القومية بالاستقلال عن الإمبراطورية النمساوية، التي أحتجت على ذلك وطلبت منه مغادرة أراضيها[٢١].

شجعت معاهدة فينكنشتاين التي عقدت بين فرنسا وبلاد فارس في ٣ تموز الدبلوماسية البريطانية لإقامة علاقة متينة مع أسرة آل هابسبورغ للحصول على دعمها في مواجهة الأطماع الفرنسية بمصالح المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى[٢٢] في أوروبا والمستعمرات الأمريكية بواسطة الارتباط الدبلوماسي الفعال مع الإمبراطورية النمساوية للضغط على فرنسا[٢٣].

اتجهت الدبلوماسية البريطانية لمواجهة سياسة فرنسا العدوانية تجاه أسرة آل هابسبورغ لنهب ممتلكاتها في أوروبا والسعي لتوسيع المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية، لتمتد من كندا شمالاً حتى لويزيانا جنوباً عبر إقليم أوهايو، عبر اعتبار الحكومة والملكة البريطانية فرنسا العدو الأخطر على مصالحها في أوروبا والمستعمرات الإسبانية الأمريكية[٢٤]. فتمسكت بريطانيا بسياستها الخارجية التقليدية لتقديم المساندة للنمسا لمواجهة الأطماع الفرنسية في الممتلكات البريطانية والتصدي للتنافس الفرنسي للمصالحها في أوروبا[٢٥].

عانى الشعب البريطاني من الحرب بسبب تكاليفها المالية البالغة خمسين مليون جنيه إسترليني، فصوت الشعب لصالح حزب التوري المعارض للحرب، في الانتخابات البرلمانية التي جرت في مطلع أيار عام ١٧١٠. واقرت الملكة آن تشكيل حكومة جديدة للتفاوض مع فرنسا لأنهاء الحرب. فاستدعت الحكومة البريطانية الجديدة دوق ملبرا (قائد قوات الحلفاء) من المعركة. طالبت الدبلوماسية البريطانية من فرنسا أرسال سفيرها الى لندن للتفاوض. بيد أن فرنسا رفضت ذلك واستمرت بالحرب. مما أدى لاستقالة الحكومة البريطانية وشكل حزب الويغز حكومة جديدة[٢٦].

اتخذت الدبلوماسية البريطانية برئاسة روبرت والبول استراتيجية جديدة في ٨ حزيران بشن هجوم عسكري على المستعمرات الفرنسية في أمريكا (نوفاسكوشيا ونيوفوندلان) وأهملت الاستيلاء على كوبيك، في الوقت الذي امتدت سيادة بريطانيا على كل مستعمرة كندا[٢٧].

حذر جوناثان سويفت (عضو جمعية الماء الأزرق المطالبة بتوسيع التجارة البريطانية في المستعمرات) في عام ١٧١١ من الاستراتيجية البريطانية، التي تشارك في الحرب الأوروبية، من تبديد ثروات الأمة البريطانية دون تحقيق نتائج تذكر. وطالب سويفت بالاستيلاء على السفن الإسبانية القادمة من المستعمرات الامريكية وغزو أمريكا الجنوبية بدلاً من استمرار بلاده بالمشاركة في الحرب بأوروبا التي تكلف بريطانيا مبالغ كبيرة لدفع رواتب (١٧١) ألف ضابط بالحلف الأعظم إضافة للمساعدات المالية التي تقدمها بريطانيا للدول الأعضاء في الحلف دون تحقيق النصر. فيما أكدت الحكومة البريطانية على أهمية مشاركتها الغير مباشرة بالحرب في أوروبا للمحافظة على مصالح بلادها هناك والقضاء على عدوتها فرنسا لزيادة نشاط بريطانيا التجاري في اوروبا والمستعمرات الإسبانية الامريكية[٢٨].

المبحث الثاني: دور الدبلوماسية البريطانية بعقد معاهدة اوترخت:

تغير الموقف في أوروبا بشكل مفاجئ، إذ تمكن القيصر الروسي بطرس الأول (١٦٨٢ – ١٧٢٥) من إقامة حلف ضم دوقية براندنبروغ ومملكة الدانمارك وناخب ساكسونيا (ملك بولندا) في ٦ كانون الثاني عام ١٧١١ ضد السويد[٢٩]. ساندت بريطانيا حليفها ملك السويد شارل الثاني عشر في حرب الشمال ضد روسيا وحليفاتها، إذ نقل الأسطول البريطاني القوات السويدية الى الأراضي الدانماركية، مما ساعد السويد على تحقيق انتصار ساحق فيها. ثم تحالفت الدبلوماسية البريطانية مع الدانمارك ضد روسيا[٣٠].

سعت الدبلوماسية البريطانية توجيه اهتمام الدول الأوروبية نحو أوروبا الشرقية وأجرت مفاوضات سرية مع فرنسا في ٧ كانون الثاني لعقد صلح بينهما. وأجرت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات مع هولندا والنمسا انتهت بالاتفاق على إقامة تحالف بينهم في ١٢ نيسان بموجب معاهدة لاهاي. ألزمت الدول الموقعة عليها بعدم السماح لروسيا وحليفاتها بإجراء أي تغيير للوضع القائم في شمال شرق أوروبا. وبدأت الدبلوماسية البريطانية بالتقرب من فرنسا بشكل واضح في ٢٠ نيسان عام ١٧١١ وطالبتها بإجبار

الدولة العثمانية لأعلان الحرب ضد روسيا. فأعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا في السنة نفسها[٣١].

أعطت وفاة الإمبراطور النمساوي جوزيف الأول (١٧٠٥ – ١٧١١) في ٢٦ نيسان عام ١٧١١ الفرصة للدبلوماسية البريطانية للإعلان عن رغبتها للانسحاب من الحرب لان الأرشدوق شارل المرشح النمساوي لعرش إسبانيا أصبح الوريث الوحيد لعرش الإمبراطورية النمساوية، مما يهدد مبدأ التوازن الدولي الأوروبي، الذي تخشاه بريطانيا وقاتلت أسرة آل بوربون لمنع توحيد عرشي فرنسا وإسبانيا. لذلك فضلت بريطانيا تولي حفيد الملك الفرنسي فيليب الخامس عرش إسبانيا وأبلغت فرنسا بالموافقة على ذلك. وأوقفت بريطانيا وهولندا عملياتها العسكرية ضد فرنسا في ٩ أيلول عام ١٧١٢. فجرت مفاوضات لأنهاء الحرب بين بريطانيا وفرنسا في ١٧ تشرين الأول، توصلت الى اتفاق مبدئي لشروط الصلح[٣٢].

أكدت الأحداث عدم وجود أعداء دائميين أو أصدقاء دائميين لبريطانيا بل يوجد مصالح دائمة تسعى للمحافظة عليها من خلال مواجهة الأحداث التي تؤثر على مبدأ التوازن الدولي الأوروبي التي جعلتها تتحول لعقد حلف مع أعدائها السابقيين. ولم تبقى بريطانيا ملتزمة بأهداف الحلف الأعظم وارادت تأسيس نظام دولي جديد يضمن السلام في أوروبا[٣٣].

سعت الدبلوماسية البريطانية لإيقاف الحرب بين أسرتي هابسبورغ وبوربون عن طريق إجراء المفاوضات المباشرة لأفساح المجال أمام الدبلوماسية البريطانية لأخضاع جميع الدول الأوروبية عدا فرنسا لنفوذها بواسطة وضع الحواجز أو المناطق الفاصلة بينها. واتفقت بريطانيا وفرنسا على منح الهولنديين مقاطعة الفلاندرز التابعة للأراضي المنخفضة النمساوية. ووضع مقاطعة نيوشاتيل تحت الاحتلال البروسي. ومنحت إمارات بيدمونت وسكسونيا والبلاتينات لدوق بافاريا[٣٤].

حقق الحلف الأعظم بزعامة بريطانيا النصر على فرنسا بعد حرب طويلة، إذ اشترطت الدبلوماسية البريطانية على ملك فرنسا التنازل عن سافوي مقابل الموافقة على تولي الملك فيليب الخامس عرش إسبانيا. تضمنت معاهدة أوترخت التي عقدت عام ١٧١٣ هذه البنود وقضت المعاهدة على مبدأ التوازن الدولي الأوروبي. واستطاعت الدبلوماسية البريطانية حرمان إسبانيا من ممتلكاتها في الأراضي الإيطالية (دوقية ميلانو وساردينيا ومملكة نابولي) والأراضي المنخفضة الإسبانية وأصبحت ملكاً للامبراطور النمساوي وتنازل الأخير عن مملكة صقيلية لدوق سافوي[٣٥].

قسمت معاهدة أوترخت الدول الأوروبية بشكلٍ متوازن ومتكافئ لمنع تفوق إحداها على الأُخرى ولإرغامها جميعاً لطلب المساعدة المالية والعسكرية من بريطانيا. وأقرت المعاهدة حدود فرنسا ضمن الحدود التي وردت في معاهدة روزويك، فقدت فرنسا الأمل بالتوسُّع في ممتلكات إسبانيا باوروبا. وقطعت إسبانيا علاقتها بشكلٍ تامٍّ بالتاج الفرنسي. وفقدت فرنسا الأمل بالتوسُّع في المستعمرات الإسبانية الامريكية. وتوقف عمل الشركة التجارية الفرنسية–الإسبانية المشتركة[٣٦].

رغبةً لتأخير تحرُّك الجيوش في حال اندلاع حربٍ بين النمسا وفرنسا ولإفساح المجال لتدخُّل بريطانيا، أقامت معاهدة أوترخت حواجز بينهما من مدن محصنة أسندت حمايتها إلى دولةٍ ثالثة فاصلة، مثل منح الفلاندرز إلى الهولنديين ومنح حاجز نوشاتيل وفالنجين إلى بروسيا ومنح إمارات سافوي وبيدمونت وساردينيا والبلاتينات لدوق بافاريا. كانت المدن الحاجز أو الفاصلة والدول التي تسيطر عليها ضعيفة بحاجة إلى مساعدة مالية وعسكرية من بريطانيا، فتوفرت لبريطانيا وسيلة للتدخل الدائم باسم حماية الضعفاء. اوجدت المعاهدة مبررات للتدخل البريطاني في الشؤون الأوروبية بحجة حماية الضعفاء[٣٧].

رفض الإمبراطور النمساوي التوقيع على معاهدة أوترخت، فدخلت الدبلوماسية البريطانية في مفاوضات مضنية معه نجحت في التوصل الى عقد معاهدة رشتادت في عام ١٧١٤ اعترف الإمبراطور ببنود معاهدة أوترخت[٣٨].

تحول الأسطول البريطاني بموجب معاهدة أوترخت إلى أعظم أسطول دون منافس له بالبحار والمحيطات لأن الحرب أضعفت فرنسا وإسبانيا والنمسا لدرجة كبيرة، بلغت خسائر فرنسا بالحرب نحو مليارين وخمسمائة مليون ليفر (وحدة نقدية فرنسية تبلغ ٩٥ % من الفرنك مصنوعة من الفضة) وهو مبلغ يساوي (٣٢) مرة ضعف واردات فرنسا السنوية. فأستاء الشعب الفرنسي من حكم الملك لويس الرابع عشر[٣٩].

حققت بريطانيا نصراً كبيراً إثر حرب الوراثة الإسبانية، إذ فرضت بريطانيا سيطرتها على الأوضاع السياسية والتجارية في أوروبا بدعوى المصلحة العليا للمحافظة على مبدأ التوازن الدولي الأوروبي. أزدادت تجارة بريطانيا الخارجية وارتفعت أرباحها. ومنعت بريطانيا أي دولة لزيادة نفوذها في أوروبا عبر لعب الدبلوماسية البريطانية دوراً في عظمة بريطانيا لتكون أسماً بحق "بريطانيا العظمى"، فعقدت سلسلة معاهدات واتفاقيات سياسية وتجارية والعسكرية مع مختلف الدول الأوروبية وأخضاع كل القارة عدا فرنسا للنفوذ البريطاني وقبول تحكيمها[٤٠]. فأبقت بريطانيا على مبدأ التوازن الدولي الأوربي ضمنت لنفسها بقاء جميع الدول الأوروبية دون قوتها للهيمنة على التجارة مع المستعمرات الامريكية.

فرضت بريطانيا هيمنتها على الطرق الملاحة الأوروبية، إذ هيمن الأسطول البريطاني على البحر المتوسط عندما احتل مضيق جبل طارق. هيمنت بريطانيا على ممر جزيرة صقيلية باحتلال جزيرة مينورقة. فتباينت مصالح العائلة المالكة في سافوي والعائلة المالكة في النمسا، الامر الذي وفر لبريطانيا الفرصة لفرض هيمنتها عليهما. حققت بريطانيا السلام والاستقرار للبحر المتوسط أنطلاقاً من القاعدة التي أنشأتها في مضيق جبل طارق وجزيرة مينورقة الاستراتيجية[٤١].

ضمنت بريطانيا نفوذها السياسي والعسكري في دول البحر المتوسط من خلال فرض مراقبة الأسطول البريطاني على الأسطولين الفرنسي والإسباني في البحر المتوسط أنطلاقاً من قاعدتها الجديدة

فيه[٤٢]. كانت السفن التجارية الفرنسية تتعرض للقراصنة البريطانيين، الذين يقدمون خدماتهم لملك بريطانيا، في البحر المتوسط مما جعلها عاجزة عن الأبحار فيه بشكل طبيعي[٤٣].

سارعت الدبلوماسية البريطانية لزيادة نفوذ بريطانيا داخل الدولة العثمانية على حساب فرنسا، إذ ازداد التبادل التجاري بين بريطانيا والدولة العثمانية. أسست بريطانيا شركة تجارية مع الدول العثمانية. حققت أرباحاً ماليةً كبيرةً من احتكار التجارة بين الدولة العثمانية والموانئ الإيطالية وشمال أفريقيا وغرب آسيا، حرمت الفرنسيين منها[٤٤].

لم توفر معاهدة أوترخت السلام النهائي في أوروبا لأنها تضمنت بنود سببت قيام الصراع والتنافس بين الدول الموقعة عليها، إذ حصلت النمسا على الأراضي المنخفضة الأسبانية، مما جعلها عدوة تقليدية لفرنسا الطامعة بممتلكات أسرة آل هابسبورغ الذي يهدد مبدأ التوازن الدولي الأوروبي وبالتالي مهدد للمصالح البريطانية في أوروبا، فعدت الدبلوماسية البريطانية فرنسا العدو الوحيد لها وأرسلت جزءاً من قواتها البرية الى مقاطعة هانوفر للدفاع عنها وثم نشرت بريطانيا جزء من أسطولها على طول السواحل البريطانية الجنوبية والشرقية لمواجهة أي عدوان فرنسي، لقرب ساحل دونكيرك Dunrik الساحل البريطاني لمسافة ستة عشر ميل فقط عن ساحل مارداياك Mardyk الأوروبي، مما يجعلها منطقة رخوة تهدد أمن بريطانيا[٤٥]. مما حرم بريطانيا من إشراك جميع أسطولها في الصراع مع فرنسا حول المستعمرات الإسبانية الأمريكية.

حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية بالمستعمرات الأسبانية الامريكية بموجب عقد اتفاقية اسينتو، نصت على أرسال بريطانيا سفينة واحدة سنوية محملة بالبضائع والعبيد الى المستعمرات الأسبانية في أمريكا الجنوبية. واستولت بريطانيا على جزر نيوفوندلاند ونوفا سكوشيا وخليج هدسن في المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية[٤٦].

انتقل الصراع حول التجارة والتوسع بالمستعمرات الامريكية بين بريطانيا وفرنسا، أصبح نشاط التجار والبحارة البريطانيين بالمستعمرات الامريكية يؤثر على الأوضاع السياسية في أوروبا، مما يدفع الدبلوماسية البريطانية للتدخل لصالحهم. وكانت المدن الصناعية البريطانية الناشئة (برمنجهام ومانجستر وليدز) تعتمد على المواد الأولية التي تأتي من المستعمرات الامريكية[٤٧]. وأصبحت الموانئ الأوروبية تحصل على الكثير من الأرباح اعتماداً على البضائع المستعمرات الامريكية التي تنقل على متن السفن التجارية البريطانية[٤٨]، مما زاد من النفوذ البريطاني في أوروبا.

الفصل الثاني: الدبلوماسية البريطانية في عهد اسرة هانوفر:

المبحث الأول: قيادة ستانهوب للدبلوماسية البريطانية:

لم تشترك الدبلوماسية البريطانية بالحرب التي أندلعت بين النمسا وحلفائها (إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأمراء البندقية ونابولي وسكسونيا) ضد الدولة العثمانية في ٨ حزيران عام ١٧١٤ لتحالف الأخيرة مع فرنسا وأنتظر الساسة البريطانيين طلب الدولة العثمانية المساعدة من بلادهم لفرض شروطهم عليها. وكان لوفاة الملكة آن دون وريث إثر بعدم مشاركة بريطانيا بالحرب. فأتصل قادة حزب التوري ومنهم بولينبروك (وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب) بجميس أدوارد الكاثوليكي (ابن الملك جيمس الثاني) يدعوه لاعتناق المذهب الأنكلكاني لتولي العرش. بيد أن حزب الويغز دعا جورج بن الأميرة صوفيا حفيدة الملك جيمس الأول (١٦٠٣ – ١٦٢٥) لتولي العرش[٤٩].

تولى جورج العرش البريطاني في ١٢ آب بإسم جورج الأول (١٧١٤ – ١٧٢٧)، فانتقل العرش الى أسرة هانوفر الألمانية. كلف الملك لطاونسيند (زعيم حزب الويغز) لتشكيل حكومة جديدة رغم عدم امتلاكه أغلبية مقاعد مجلس العموم البريطاني. وأصبح قائد الدبلوماسية الأول لأيرل جيمس ستانهوب[٥٠] Stanhope (وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب) [٥١] في ٣ أيلول[٥٢].

شنت الحكومة البريطانية حملة قاسية ضد أعضاء حزب التوري واتهموا بالتآمر لتنصيب جيمس أدوارد على عرش البلاد. مما اضطر أغلبهم للهرب إلى الدول الأوروبية. حصد حزب الويغز الأغلبية بالانتخابات البرلمانية التي أجريت في ١٠ كانون الثاني عام ١٧١٥. وشكل الحزب حكومة جديدة وهيمن على المقاليد السياسية البريطانية لمدة نصف قرن تقريباً بدعم اسرة هانوفر انتشر الاستقرار السياسي في بريطانيا، مما ساعد الحكومة لتنفيذ دبلوماسيتها [٥٣].

شجعت فرنسا جيمس أدوارد لشن حملة على اسكتلندا في ٣ شباط عرفت ثورة اليعاقبة لاستعادة العرش البريطاني، بيد ان جيمس أدوارد فشل في حملته بسبب حرمانه من الدعم الفرنسي لوفاة الملك لويس الرابع عشر[٥٤].

استطاعت الدبلوماسية البريطانية عقد معاهدة حلف مع فرنسا في كانون الثاني عام ١٧١٦، اعترف الملك لويس الخامس عشر (١٧١٥ – ١٧٧٤) بحق أسرة هانوفر بتولي عرش بريطانيا وتعهد بعدم دعم جيمس أدوارد. اعترفت بريطانيا بوراثة التاج الفرنسي وفقاً لما جاء في معاهدة أوترخت. شكل هذا التحالف ثورة دبلوماسية كبيرة لأنه تجاوز نظام ثنائي الأقطاب لخلق نظام دولي جديد يسيطر على الوضع الراهن في أوروبا، منع أي عدوان أجنبي على بريطانيا لان معاهدة التحالف تضمنت بند يمنع دخول السفن الحربية والجنود لجميع الدول في المنطقة المقابلة لساحل دونكيرك البريطاني لضمان السلام بين بريطانيا وفرنسا[٥٥].

عُدت الاتفاقية الأخيرة بغير صالح بريطانيا التي تعتبر فرنسا عودتها تنافسها على النفوذ والتجارة في أوروبا والمستعمرات الامريكية، فعارض طاونسيند المعاهدة، فقدم استقالته. فعين الملك جيمس ستانهوب بدلاً عنه في رئاسة الحكومة البريطانية(٥٦).

يرجع السبب الذي دفع الدبلوماسية البريطانية إلى التحالف مع فرنسا، لأخذ قسط من الراحة للاهتمام بالقضايا الداخلية. يُمد الحلف خطوة جديدة لتطوير الدبلوماسية البريطانية، التي تحالفت مع فرنسا عدوتها في نظام دولي جديد جمع بين الدول المتصارعة والمتناقضة، فسعت بريطانيا لأثارة العداوة بين فرنسا وإسبانيا. واتفقت بريطانيا وفرنسا في تشرين الثاني عام ١٧١٦ لمواجهة أطماع ملك إسباني بالعرش الفرنسي بالقوة العسكرية(٥٧).

حرض الملك فيليب الخامس الشعب الفرنسي لمحاربة النمسا. بيد ان الدبلوماسية البريطانية تمكنت من القضاء على المؤامرة، إذ قدمت بريطانيا مساعدات مالية الى الشعب الفرنسي ونقل الأسطول البريطاني جيش فرنسي بري وتم أنزاله بالموانئ الأسبانية. قدمت الدبلوماسية الفرنسية والجيش الفرنسي الدعم والمساعدة للبحارة البريطانيين في أوروبا ساعد على تمتين العلاقات الفرنسية – البريطانية، إذ لم تتعرض المصالح البريطانية في أوروبا للعدوان أو الخطر لمدة خمسة عشر سنة(٥٨).

تحول التحالف الأنجلو – الفرنسي إلى تحالف ثلاثي بعد موافقة هولندا الانضمام إليه بموجب عقد هذه الدول معاهدة تحالف لاهاي. ظل هذا التحالف الأساس الذي ترتكز عليه الدبلوماسية البريطانية في العقد الثاني من القرن الثامن عشر. وتعهد فرنسا وبريطانيا بالضغط كل منهما على حليفته (النمسا وإسبانيا) لتنفيذ بنود معاهدة التحالف الثلاثي. تمكنت تلك المعاهدة من سد ثغرات التي تضمنتها معاهدة أوترخت واتفقت الدول الأعضاء بالتحالف على استمرار تحالفهم لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد والاستمرار في مناقشة الوضع السياسي في أوروبا فيما بينهم(٥٩).

نجحت الدبلوماسية البريطانية بتوحيد بين قوة الأسطول البريطاني والهولندي مع الجيش البري الفرنسي القوي. فيما رفض الإمبراطور شارل السادس وملك إسبانيا فيليب الخامس الانضمام للتحالف الثلاثي بسبب رفض بريطانيا توحيد عرشي النمسا وإسبانيا في أسرة آل هابسبورغ ورفض توحيد عرشي إسبانيا وفرنسا. فتخلت بريطانيا عن التحالف مع النمسا فيما أجبر ملك فرنسا لويس الخامس عشر الملك فيليب الخامس على عدم المطالبة بالعرش الفرنسي(٦٠).

استغلت الدبلوماسية البريطانية حاجة إسبانيا لاستعادة ممتلكاتها السابقة في الأراضي المنخفضة والأراضي الإيطالية، التي أصبحت مُلك للنمسا، وعداء إسبانيا لفرنسا والإمبراطور النمساوي لتقارب بريطانيا من إسبانيا، فأجرت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات مع إسبانيا للتحالف بين البلدين. فاتفقت بريطانيا وإسبانيا في ١٥ كانون الأول على توقيع معاهدة تحالف، تنازلت الأخيرة لحليفتها عن الكثير من الامتيازات التجارية بمستعمراتها في أمريكا الجنوبية(٦١).

تعاظمت التجارة البريطانية في نهاية العقد الثاني من القرن الثامن عشر، إذ أصبحت التجارة الأولى عالمياً. وحل التجار البريطانيين محل التجار الهولنديين والفرنسيين وأمنوا نقل البضائع لحساب بلدان أخرى. وارتفعت كمية التجارة البريطانية للضعف ثم استمرت بالزيادة حتى بلغت (٩٠%) من حجم التجارة الخارجية للدول الأوروبية. توسعت تجارة بريطانيا الخارجية في المستعمرات الامريكية، حصلت بريطانيا على امتياز تصدير العبيد في المستعمرات الإسبانية الامريكية. كما حصلت بريطانيا على ميزة الدولة الأولى بالرعايا من البرتغال، بأرسال سفينة محملة بالمنتجات البريطانية واحدة الى موانئ المستعمرات البرتغالية في أمريكا الجنوبية[٦٢].

عقدت بريطانيا وإسبانيا اتفاقية تجارية ثانية بين البلدين في ٢٠ كانون الأول عام ١٧١٦، أعادت للبريطانيين مركزها السابق في شبه الجزيرة الأيبرية بحصول بريطانيا على حق الرعايا الأولى في المملكة الإسبانية. ترك موقف الكاردينال البيروني Alberoni Carrdinal (وزير خارجية إسبانيا) من جيمس أدوارد، رفض الوزير الإسباني إقامته في بلاده، انطباعاً جيداً لدى سفير بريطانيا في مدريد اعتبر ذلك اعتراف بحق الملك جورج الأول بالعرش البريطاني[٦٣].

نجحت الدبلوماسية البريطانية بإعادة العلاقة مع النمسا، إذ أقر الملك جورج الأول في ٢٢ كانون الأول عقد اتفاقية ويستمنستر مع النمسا تعهد البلدان بالدفاع المشترك عن ممتلكاتهما في أوروبا. استمر تحالف بريطانيا والإمبراطورية النمساوية لمدة أربعين سنة دون اشتراكهما بحرب ضد بعضهما البعض[٦٤].

اشترك الأسطول البريطاني في ١٢ آب عام ١٧١٧ بدعم روسيا والدانمارك في حربهما ضد السويد. حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية من الدانمارك. اثارت غضب القيصر بطرس الأول فاحتل دوقية مكلامبورغ. رفض الملك البريطاني ذلك وأتهم القيصر بدعم ثورة اليعاقبة، فأرسل الأسطول البريطاني لمساعدة السويد في ٣ أيلول ضد روسيا. حصلت بريطانيا امتيازات تجارية في بحر البلطيق. دفعت روسيا لأقامة حلف مع بولندا وبروسيا ضد بريطانيا في ٣ تشرين الأول[٦٥].

اضطرت بريطانيا لدعم الدانمارك في حربها مع روسيا وحليفتيها بولندا والسويد، نجحت الدبلومسية البريطانية بعقد معاهدة سوند مع الدانمارك نصت على تخفيض الرسوم المالية المفروضة على السفن التجارية البريطانية التي تمر عبر مضيق سوند وتنازلت الدانمارك عن هوليشتاين لبريطانيا. ثم أجرت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات مع بروسيا في ٥ تشرين الثاني، لابعادها عن حليفتها روسيا، انتهت بالتوقيع على معاهدة حصلت بريطانيا على أعفاءات كمركية لتجارتها مع بروسيا مقابل تنازل بريطانيا لها عن مقاطعة هوليشتاين. كما تعهد بروسيا بالدفاع عن مقاطعة هانوفر والتنازل لها عن أراضي بريمن وفردان[٦٦].

تمكنت الدبلوماسية البريطانية من التصالح مع السويد بعقد معاهدة ستوكهولم في بداية ١٥ نيسان عام ١٧١٨. تخلت السويد بموجبها عن مقاطعة شلسفيغ الى الدانمارك حليفة بريطانيا وخسرت

السويد هيمنتها على بحر البلطيق وتفوقت التجارة البريطانية في بحر البلطيق، وتحولت السويد الى دولة ضعيفة. اعطى الفرصة لروسيا للتوسع في أراضي دول المطلة على بحر البلطيق، فاضطرت بريطانيا لمساندة الدانمارك لتطوير جيشها لمواجهة روسيا(٦٧).

سعت الدبلوماسية البريطانية لضم بولندا للتحالف الثلاثي، فالتقى الملك جورج الأول مع ملك بولندا أغسطس الثاني في ١٦ أيار عام ١٧١٨ بمقاطعة هانوفر. واتفق الملكين على عقد معاهدة تحالف بين البلدين والانضمام الى التحالف الثلاثي ليتحول الى تحالف رباعي. ساهم اجتماع هانوفر في سيطرة الدبلوماسية البريطانية على الشؤون الأوروبية. لكنه اثار خوف القيصر الروسي الذي قاد قواته واحتل الأراضي البولندية. وشكل القيصر الروسي التحالف الفيدرالي الشمالي مع السويد في ٧ حزيران ضد بريطانيا، خشية من شن ملك بولندا بمساعدة بريطانيا، حرب ضد روسيا. أسرع دوبواس الآبي Abbe Dubois (وزير خارجية فرنسا) (١٧١٥ – ١٧٢٣) على الفور للإعلان أخلاص فرنسا للتحالف الرباعي مع بريطانيا(٦٨).

بذلت الدبلوماسية البريطانية جهود كبيرة لكسب ود الكاردينال دوبواس الآبي ولم تتوانى لتقديم الرشى له لتحقيق أهدافها، إذ منحت سفارة بريطانيا في فرساي دوبواس الآبي مبلغ (٦٠٠) ألف جنيه استرليني من الحكومة البريطانية مقابل تنسيق المواقف بين البلدين والعمل معاً لمواجهة التحالف الفيدرالي الشمالي لعدم انتهاك مبدأ التوازن الدولي الأوروبي(٦٩).

لم تكن الدبلوماسية البريطانية في الأعوام الماضية أكثر نشاطاً وأكثر براغماتية (أنتهازية) أيضاً، بل تُعد دبلوماسية ماكيافيللية جديدة لمواجهة علاقات ملك بريطانيا المتوترة مع العواهل الأوروبية، كل طرف منهما متلهف لأن يسبق الآخر لينتقم منه بدلاً من إقامة علاقات بين رجال دول يتشاورون فيما بينهم في الشؤون شعوبهم وبلدانهم(٧٠).

استمرت جهود الدبلوماسية الإسبانية للتقارب من فرنسا، إذ أعلنت إسبانيا الحرب ضد الإمبراطورية النمساوية وامارة توسكانيا والدولة العثمانية في ٥ تموز. فشلت الدبلوماسية البريطانية في إقناع ملك إسبانيا فيليب الخامس لوقف الحرب التي شنها ضد الأراضي الإيطالية النمساوية مقابل منح دون كارلوس (إبن ملك إسبانيا) حق وراثة أراضي توسكانيا وبارما وبلاسينتا Palcentia. طالب الكاردينال البيروني بتنازل بريطانيا عن مضيق جبل طارق للموافقة على ذلك(٧١).

قدمت بريطانيا الدعم للنمسا في حربها ضد إسبانيا، فهاجم الأسطول البريطاني في ١١ آب موانئ رأس باسارو (قرب مسينا) في البحر المتوسط. إذ شارك الأسطول البريطاني بتدمير الأسطول الإسباني في ١٦ آب. الأمر الذي دفع إسبانيا لدعم جيمس أدوارد بالأسطول الإسباني ومجموعة من الجنود لغزو بريطانيا في ٢١ آب(٧٢).

نجحت الدبلوماسية البريطانية في أقناع الإمبراطور شارل السادس بالتنازل عن ممتلكاتها في الأراضي الإيطالية لدون كارلس والاعتراف بتولي الملك فيليب الخامس عرش إسبانيا مقابل ضمان وراثة العرش الإمبراطوري لأبنته ماريا تيريزا[٧٣]. اعترف الإمبراطور النمساوي بالتنازل عن ملكية إمارات توسكانيا وبارما وبلاسينتا إلى الأمير الإسبانية دون كارلوس بشرط بقاء ميناء ليغورن Leghorn ميناءاً حراً. وتم الاتفاق على خضوع الممرات السويسرية لسيطرة ملك إسبانيا لكي يتمكن الأمير دون كارلوس في ترسيخ سيطرته على ممتلكاته الجديدة. فيما تنازل ملك إسبانيا عن مطالبته بامتلاك دوقية ميلان والأراضي المنخفضة النمساوية[٧٤].

تمكنت الدبلوماسية البريطانية من أنهاء الحرب بين إسبانيا والنمسا في ٢٩ آب عام ١٧١٨ وعقد صلح باساروبتز Passarowitz. ووقعت الدبلوماسية البريطانية اتفاقية مع الإمبراطور شارل السادس في ٣٠ آب لأنضمام إلى التحالف الرباعي ليمتد إلى الحدود النمساوية الشرقية وضم صربيا وولاشيا وليتحول للتحالف الخماسي للمحافظة على السلام الأوروبي[٧٥].

طلبت الدبلوماسية البريطانية بعد أنضمام الإمبراطور النمساوي للتحالف الرباعي في نهاية شهر آب، من فيليب أورليان (الوصي على العرش الفرنسي) معاقبة ملك إسبانيا لإجبارها على التصالح مع فرنسا والانضمام للتحالف الخماسي. فاعلنت فرنسا، بعد تردد، الحرب في منتصف شهر أذار عام ١٧١٩ على إسبانيا. فاضطر ملكها للاستسلام والانضمام للتحالف الخماسي ليتحول إلى التحالف السداسي. يرجع تشكيل هذا التحالف إلى دهاء قائد الدبلوماسية البريطانية ستانهوب وأصرار الكاردينال البيروني للبقاء مع بريطانيا للانتقام من فرنسا[٧٦].

أنضمت النمسا إلى التحالف الفيدرالي الشمالي (الذي ضم روسيا والسويد) في عام ١٧٢٠، وتكون حلف النسور الثلاثة لرعايا مصالح أعضاء الحلف في بولندا. فانسحبت النمسا من التحالف السداسي بعد ذلك. حاول القيصر بطرس الأول استمالة فرنسا للانضمام التحالف الفيدرالي الشمالي[٧٧].

المبحث الثاني: قيادة والبول للدبلوماسية البريطانية:

واجه ستانهوب حملة من قبل حاشية الملك الألمان في البلاط البريطاني وبغض منافسي ستانهوب داخل حزب الويغز، الذي خدمه كثيراً داخل البلاد وخارجها، فتم الأطاحة به في ٣ أذار عام ١٧٢١ بتهمة الفشل لعقد التحالف مع النمسا. وجاء بدلاً عنه السير روبرت والبول[٧٨] (رئيس حكومة بريطانيا ووزير خارجيتها مسؤول دائرة الجنوب) (١٧٢١ – ١٧٤٢) بالمنصب المقرب من الملك جورج الأول. يذكر ان الكاردينال البيروني واجه المصير نفسه، فقد حمله الملك الإسباني مسؤولية التباعد عن فرنسا، فتم طرده من قيادة الدبلوماسية الإسبانية. ورفض البابا كليمنت الحادي عشر Clememy XI[٧٩] طلب البيروني بالتوسط لدى ملك إسبانيا. وخلف البيروني مساعده جان وليم ريبيردا Ripperda المقرب من البلاط الإسباني[٨٠].

انتهجت الدبلوماسية البريطانية في عام ١٧٢١ طريقة جديدة للمحافظة على النفوذ البريطاني في أوروبا ولضمان تفوق التجارة البريطانية بالمستعمرات الامريكية اعتمدت الدبلوماسية البريطانية مبدأ فرق تسد[٨١] بين الدول الأوروبية. اعتقد الساسة البريطانيين ضرورة مراقبة خصومهم الأوروبيين لمنعهم من فرض هيمنتهم على الدول الأخرى وقيام بريطانيا بدور الحامي للسلام في أوروبا عبر تنبيه تلك الدول بالمخاطر التي تواجهها للتحالف مع بريطانيا.

اجرت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات الصلح مع إسبانيا وفقاً الشروط التي وضعها التحالف السداسي، اضطر ملك إسبانيا الموافقة على تلك الشروط وعقد معاهدة نيستادت في ٣٠ نيسان عام ١٧٢١ مع بريطانيا. أقرَّت إسبانيا تسوية مسائل الأراضي الإيطالية كما رسمها التحالف السداسي، وبنى السلام في أوروبا. أنقذت الدبلوماسية البريطانية أوروبا من كارثة معاهدة أوترخت[٨٢].

أزداد توتر العلاقات البريطانية – النمساوية في نهاية شهر آب بسبب أنشاء الإمبراطور النمساوي شركة أوستاند للتجارة بين النمسا والأراضي المنخفضة النمساوية والأراضي الإيطالية، الامر الذي أثار بريطانيا لأنَّها تنافس تجارتها في أوروبا. شن الأسطول البريطاني هجوم على السفن التجارية النمساوية في الموانئ الإيطالية. شجعت تلك الاحداث أسرة آل بوربون للتصالح، إذ تم عقد إتفاق الصلح بين فرنسا وإسبانيا أكد على أنهاء الخلافات بينهما في الأراضي الإيطالية. دفعت الاحداث الإمبراطور النمساوي للموافقة على حلّ شركة أوستند بسبب اعتراض بريطانيا[٨٣].

استمرت العلاقات البريطانية – الفرنسية متذبذبة في عهد والبول الذي حرص على المحافظة على السلام في أوروبا للتفرغ لمعالجة الأوضاع الداخلية في بريطانيا. شهدت الأوضاع في أوروبا تطور تمثل بانهيار الحلف الفيدرالي الشمالي أثر وفاة الملك السويدي. بذل القيصر الروسي جهود كبيرة في تنصيب ملك سويدي موالي لروسيا. أثار غضب بريطانيا، فطالب الملك جورج الأول في عام ١٧٢٢ من وزير الخزانة زيادة واردات بلاده للحصول على الأموال اللازمة لمنع القيصر بالقوة العسكرية من التدخل في تنصيب ملك جديد للسويد. وفرت الحكومة البريطانية الأموال التي طلبها الملك. وأمل والبول ان لا يتم الحاجة لها أبداً وقال: "سياستي هي الأبقاء أحرار عن أي التزامات دولية"[٨٤].

حرص الوصي على العرش الفرنسي فيليب الاورياني والكاردينال دي فليوري Cardinal De Fleury[٨٥](وزير خارجية فرنسا) (١٧٢٣ – ١٧٤٣) على استمرار السلام في أوروبا، لمواجهة الخلاف في عائلة آل بوربون بين فرنسا وإسبانيا. استمر السلام بين بريطانيا وفرنسا دون تعرضه لأي تهديد لمدة عشرة سنوات نتيجة انبثاق تفاهم بين والبول والكاردينال دي فليوري، كان رئيسا الدبلوماسية البريطانية والفرنسية متعاونين فيما بينهما، وكلاهما رافضين لاندلاع حرب بين البلدين ومهتمين بالشؤون الاقتصادية لبلادهما[٨٦].

لم يثق كلاهما بالسياسيين المتطرفين وآمنا بتسوية المشاكل التي تواجه البلدين بالطرق الدبلوماسية، لقيت العلاقات الودية للرجلين دعماً كبيراً من هوريس[٨٧] والبول (سفير بريطانيا في فرساي) أخو السير روبرت والبول الذي وصف بدقة قابليات الكاردينال دي فليوري، الذي استمر بالتواصل مع الدبلوماسيين الأجانب حتى عندما تم عزله لفترة قصيرة. ومنح البلاط الفرنسي لهوريس تفويضاً مطلقاً للتواصل مع الحكومة الفرنسية مما ساعده على تحقيق النجاح في تعامله معها[٨٨].

إتفقت الدبلوماسية البريطانية مع نظيراتها الفرنسية والنمساوية والهولندية على عقد مؤتمر دولي للدبلوماسيين الأوروبيين في ٨ كانون الثاني عام ١٧٢٤ بمدينة كامبرية لتسوية المشاكل التي تواجه الدول الأوروبية الموقعة على معاهدة أوترخت في الأراضي الإيطالية[٨٩].

أجرى والبول مفاوضات مع مختلف وزراء خارجية الدول الأوروبية توصلت إلى عقد عدة إتفاقيات خفضت الرسوم الكمركية المفروضة على المنتجات البريطانية في عدد من الدول الأوروبية. إتفقت بريطانيا مع بعض الدول الأوروبية على تخفيض الرسوم الكمركية المفروضة على المواد الخام التي تستوردها بريطانيا. دفعت تلك الإتفاقيات الملك الفرنسي لويس الخامس عشر لإجراء مفاوضات سياسية مباشرة مع عدد من الدول الأوروبية دون علم الدبلوماسية الفرنسية، مما سبب لها الكثير من الإرباك والأخفاقات وزادت من الخلافات بين فرنسا وبريطانيا حول بالمستعمرات الامريكية[٩٠].

واجهت الدبلوماسية البريطانية قيام نشاط معادي لها في أوروبا، فقد أستطاع ريبيردا أقناع الملك فيليب الخامس ليرسله الى فينا في ٣ شباط عام ١٧٢٤ للتفاوض معها لأقامة حلف بين العدوين إسبانيا والنمسا. نجح ريبيردا في عقد معاهدة حلف بينيلوب Penelope بين البلدين معادي لبريطانيا في ١٦ أذار عام ١٧٢٥. سرعان ما تطور إلى إتفاق مصاهرة بين الأسرتين الحاكمتين مقابل تنازل النمسا لإسبانيا عن الأراضي الإيطالية النمساوية (امارة توسكانيا ودوقية بارما). عدت الدبلوماسية البريطانية الحلف يشكل تهديد جديد لمبدأ التوازن الدولي الأوروبي[٩١].

ساهم الحلف الإسباني – النمساوي بتغيير شكل العلاقات الدولية في أوروبا برمتها، فقد أنهى الحلف المنافسة بين المملكة الإسبانية والإمبراطورية النمساوية واعترف الملك فيليب الخامس بالمرسوم العملي Pragmati Sanction [٩٢] في ٣٠ نيسان بالمصادق عليه في مدريد[٩٣].

حدثت تطورات جديدة بالعلاقات الدولية الأوروبية شكلت مفاجئة للدبلوماسية البريطانية، المهملة والمرتبكة، التي لم تتوقع تمثلت بتحسن العلاقات الإسبانية – الفرنسية، إذ تمكنت الدبلوماسية الإسبانية من التوصل إلى إتفاق للصلح مع فرنسا، بعد انقطاع بعلاقات البلدين دام أكثر من عشر سنوات. إذ عقد ريبيرا مع دي فليوري معاهدة أشبيلية في شهر حزيران عام ١٧٢٦، أكدت على شروط معاهدة فينا السابقة، شكلت معاهدة أشبيلية الخطوة الأولى في طريق لأقامة التحالف الإسباني – الفرنسي. أصبح دي فليوري وبعض الشخصيات البريطانية تعمل لأنهاء حلف هانوفر وقطع العلاقات الفرنسية – البريطانية،

الأمر الذي أدى إلى انهيار التحالف الفرنسي – البريطاني. ساعد فرنسا لاتخاذ مواقف ترفضها بريطانيا في الشؤون الأوروبية والمستعمرات الامريكية[٩٤].

كانت شخصية ريبيرا فريدة، لقدرته الفائقة على الأقناع ووضوح الهدف لديه، جعلته من الشخصيات الكبيرة في زمانه. فإن ذكر المرسوم العملي في المعاهدة الإسبانية – النمساوية يربط ريبيردا بالأحداث التي تركت آثارها الكبيرة على العلاقات الدولية الأوروبية. منح ملك إسبانيا ريبيردا لقب دوق مكافئة له وعينه رئيس للحكومة الإسبانية [٩٥].

غابت الدبلوماسية البريطانية كلياً عن التطورات السياسية الأوروبية خلال المدة (١٧٢٤ – ١٧٢٧)، إذ أرسلت الحكومة الفرنسية يوهان دانيال سكوفلن في ١٢ أذار عام ١٧٢٧ إلى لندن لإجراء مفاوضات سرية مع الحكومة البريطانية لتجديد التحالف الثنائي بين البلدين، الذي ينتهي بعد عام. انتهت المفاوضات بالإتفاق على احياء حلف هانوفر مجدداً، الذي يضم بريطانيا وفرنسا وهولندا[٩٦].

بدء والبول، مثلما عمل ستانهوب مع البيروني، يتعاون مع ريبيردا في حل المشكلات الدولية الأوروبية. كان هدف والبول الوحيد هو بقاء بريطانيا أقوى دولة في أوروبا عن طريق انتهاج دبلوماسية مع الدول الأوروبية. يُعد المشاركة بالأحلاف المباشرة أو عقد تفاهم ثنائي مع دول أخرى جزء من هذه الدبلوماسية للمحافظة على مصالح بريطانيا في أوروبا والاهتمام بالتجارة الخارجية في المستعمرات الأمريكية واستغلال ثرواتها لتطوير بريطانيا[٩٧].

كلفت الدبلوماسية البريطانية التي انتهجها والبول، لمواجهة توسع النفوذ الفرنسي والمحافظة على مصالح بريطانيا في أوروبا، أموال كبيرة جداً. اضطرت الحكومة البريطانية لفرض ضرائب جديدة على المواطنين الأثرياء (التجار والصناعيين) إضافة إلى ضريبة الأرض البالغة أربع شلنات التي فرضت على كبار ملاك الأراضي لتوفير الأموال اللازمة لتنفيذ تلك الدبلوماسية، مما أثار استياء الشعب البريطاني من حزب الويغز، المسيطر على الحكومة والبرلمان البريطاني بسبب أقرار تلك الضرائب الجديدة لتغطية نفقات تلك الدبلوماسية[٩٨].

أتسمت الدبلوماسية البريطانية التي اتبعها والبول بالمناورة السياسية لأستيعاب معارضيه في البرلمان وتمكنه من تحقيق الأهداف التي يصبوا إليها ليعيد توحيد حزب الويغز والقضاء على انتقادات أعضائه للدبلوماسية بسبب كلفتها الاقتصادية الكبيرة[٩٩]. تعد الدبلوماسية البريطانية ضرورة تامة لضمان مصالح بريطانيا في أوروبا لمواجهة النفوذ الفرنسي وتوسع الصراع في المستعمرات الامريكية[١٠٠].

لم تعمل الدبلوماسية البريطانية لخلق مراكز قوى أوروبية محايدة، فلم يشجع والبول البابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة للعب دور في ضمان السلام الأوروبي من خلال القيام بجهود دبلوماسية للتوسط بين الدول المتحاربة، رغم حاجة بريطانيا لضمان السلام لتحقيق التفوق الدبلوماسي لبريطانيا في أوروبا بل حرصت على استمرار حلف هانوفر[١٠١].

استخدمت الدبلوماسية البريطانية دبلوماسيين الأجانب المقربين منها لإيصال رسائل الوساطة إلى النمسا لانهاء توتر علاقاتها مع بريطانيا، فقد أرسلت بريطانيا الدبلوماسيين البرتغاليين والهولنديين في ٢٧ أذار إلى فينا. تمكن الدبلوماسيين الوسطاء من إعادة العلاقات البريطانية – النمساوية وعينت بريطانيا اللورد والد جريف مبعوثاً لها في فينا في ٦ نيسان. تعد الدبلوماسية البريطانية النمسا أحد القطبين اللذين يؤثران على سلامة النظام الدولي الأوروبي(١٠٢).

لعب اللورد والد جريف دور كبير في التواصل مع الأمير أوجين (رئيس الحكومة النمسا) إلى إتفاق في ٨ أيار لتحسن العلاقات بين البلدين. لعبت العلاقات الشخصية دور كبير في نجاح مهمة الدبلوماسي البريطاني دون الاهتمام للمعايير الدبلوماسية(١٠٣).

استطاعت الدبلوماسية البريطانية تجديد التحالف بين بريطانيا وهولندا ضمن حلف هانوفر، إذ عد هودلي (سفير بريطانيا في لاهاي) في ٢ حزيران الحلف يشكل منعطفاً حقيقياً بالتوازن الدولي الأوروبي. واتفق البلدان على الدفاع عن مصالحهما في أوروبا بشكل مشترك والسعي لكسب حلفاء جدد لتقليل الالتزامات العسكرية المفروضة على كلا الحليفين. سعت الدبلوماسية البريطانية لتكوين أئتلاف دولي، وعدم الاكتفاء بالتحالف مع هولندا، لمواجهة الحلف الإسباني – النمساوي(١٠٤).

اصطدم الحلف الإسباني – النمساوي بحلف هانوفر، فانهار الحلف الإسباني – النمساوي في ٧ تموز عام ١٧٢٧ عند بداية النزاع الذي أثارته إسبانيا ضد بريطانيا لاستعادة جبل طارق منها. اثار استاء الملك جورج الثاني (١٧٢٧ – ١٧٦٠) من الامتيازات التجارية التي منحها ملك إسبانيا إلى النمسا. اضطر ملك إسبانيا للخضوع لشروط بريطانيا وفرنسا لفك حصاره عن مضيق جبل طارق مقابل توقيعهما على معاهدة برشلونة مع إسبانيا في ١٥ تموز، التي تسمح لإسبانيا باحتلال حصون توسكانيا وبارما وبلاسينتا لتنفيذ المعاهدة السابقة(١٠٥).

تحسنت العلاقات البريطانية – الروسية في ٤ آب أثر تولي القيصر بطرس الثاني (١٧٢٧ – ١٧٣٠) العرش، إذ عقد البلدين إتفاقية تجارية بينهما بسبب عدم وجود مصالح لبريطانيا في أراضي أوروبا الشرقية، اصطدم التوسع الروسي في شرق أوروبا بالنفوذ الفرنسي هناك. لم تهتم الدبلوماسية البريطانية بروسيا سابقاً بسبب ضعفها وتخلفها. ولا يوجد مصالح لروسيا في المستعمرات الامريكية التي تطمع بها بريطانيا(١٠٦).

فيما توترت العلاقات البريطانية – البروسية في ١٦ أذار عام ١٧٢٩ أثر تعيين الملك فردريك وليم الأول(١٠٧) اللورد مارشال الأسكتلندي، المعارض لملك بريطانيا، مبعوثاً خاص لبروسيا في فرساي. استطاعت الدبلوماسية البريطانية تحسين العلاقات الثنائية مع بروسيا، وعقد معاهدة حلف بين البلدين في ٧ أيار. تعهدت الأخيرة بالدفاع عن الممتلكات البريطانية في مقاطعة هانوفر. فيما تعهدت بريطانيا بمنح بروسيا مساعدات مالية(١٠٨).

أعلنت فرنسا وإسبانيا تحالفهما في ١٦ حزيران. وشنت القوات الفرنسية والإسبانية في ٣ تموز هجوم على الأراضي الإيطالية، لم يهاجم الجيش الفرنسي أراضي الإمبراطور النمساوي حتى لا تثير قلق بريطانيا وهولندا، انتهى الهجوم بتنازل الملك فكتور عمانوئيل (ملك سردينيا) عن سافوي لفرنسا مقابل حصوله على ميلانو(١٠٩).

استطاعت الدبلوماسية البريطانية إجراء مفاوضات مع فرنسا وإسبانيا تم الإتفاق على عقد حلف دفاعي بين الدول الثلاثة في ٣ أب. أنضمت هولندا له بموجب عقد معاهدة سيفيل Seville في نهاية كانون الثاني عام ١٧٣١ مع فرنسا وإسبانيا سميت معاهدة فينا الثانية ساعدت على حسم مسألة مضيق جبل طارق وانهاء مطالبة إسبانيا به. والقضاء على الخلافات بين بريطانيا وإسبانيا بشأن التجارة البريطانية في المستعمرات الإسبانية في امريكا الجنوبية. تعهدت الدول الموقعة على معاهدة سيفيل بإلغاء معاهدة فينا الأولى والامتناع عن القيام بأي عمل يسبب أخلال مبدأ التوازن الدولي الأوروبي. لم تضع معاهدة سيفيل أساساً ثابتاً في العلاقات الدولية الأوروبية، بل أنها استندت إلى عدة تدابير إقليمية غير واقعية، بغض النظر عن الشعور القومي، غيرت الموقف الدولي في أوروبا(١١٠).

الفصل الثالث: موقف الدبلوماسية البريطانية من اندلاع الحروب الأوروبية:

المبحث الأول: موقف الدبلوماسية البريطانية من حرب الوراثة البولندية:

فقدت بريطانيا في عام ١٧٣٣ نفوذها المتفوق في أوروبا، إذ أطمأن الساسة البريطانيون لقوة بلادهم وأنشغلوا بالخلافات الداخلية مع والبول ولم يلتفتوا لتغير السياسة الخارجية الفرنسية التقليدية تجاه النمسا، إذ فضلت فرنسا أنهاء العداء التاريخي بين أسرة آل بوربون وأسرة آل هابسبورغ بسبب زوال خطرها عن فرنسا. اثار تدخل فرنسا بحرب وارثة العرش البولندي، بعد وفاة ملكها أوغست الثاني في ٣ أيلول عام ١٧٣٣ وترشيح ستانسلاس لكزينسكي (صهر ملك فرنسا الذي تم خلعه سابقاً من عرش بولندا). فيما رشحت النمسا منتخب ساكسونيا أوغست الثالث (إبن شقيق الإمبراطور النمساوي) بدعم روسيا. تم أنتخاب الأول، بفضل المال الفرنسي، في ١٥ أيلول ملكاً لبولندا(١١١).

رفضت النمسا وروسيا ذلك وادخلت قواتهما للأراضي البولندية وتم طرد ملكها وتنصيب أوغست الثالث بدلاً عنه. مما أعاد الخلاف الفرنسي – النمساوي من جديد، إذ تحالفت النمسا وروسيا والدولة العثمانية والسويد ضد فرنسا وحليفاتها (بافاريا وإسبانيا وممكلة سردينيا). وحققت فرنسا وحليفاتها النصر على النمسا وحليفاتها في ممتلكات النمسا بالأراضي الإيطالية(١١٢).

سعت الدبلوماسية البريطانية عدم المشاركة في الحرب، اتخذ والبول دبلوماسية الحياد لحماية مصالح بلاده في أوروبا دون الاشتراك في حرب الوراثة البولندية في نهاية عام ١٧٣٣. سعت بريطانيا لأنهائها،

إذ عقدت بريطانيا معاهدة صداقة مع إسبانيا[١١٣]. مكنت بريطانيا توظيف إمكانياتها العسكرية للتوسع في المستعمرات الإسبانية والفرنسية في أمريكا وزيارة تجارتها معها[١١٤].

انتهى التقارب البريطانيا – الفرنسي بجهود جيرميذ لوي شوميلين (وزير خارجية فرنسا) المعارض لبريطانيا وتعاون مع إسبانيا في ١٧ تشرين الثاني ضد بريطانيا، إذ عقدت فرنسا مع إسبانيا معاهدة حلف لم الشمل العائلة ضد بريطانيا للدفاع عن الأملاك الإسبانية في أوروبا والمستعمرات الامريكية[١١٥].

توترت العلاقات البريطانية – البروسية في العام نفسه، بسبب حصافة والبول وثباته بدبلوماسية عدم التدخل بالتعقيدات الأوروبية، دفع بروسيا للانضمام إلى حلف فرنسا. أخذت بريطانيا بتحريض النمسا ضد حلف فرنسا وإسبانيا، التي اتحدت في حلف واحد ضد بريطانيا بسبب تلك الدبلوماسية[١١٦].

أعلنت النمسا تمسكها بأملاكها بالأراضي الإيطالية واستعدادها للدفاع عنها. فشنت فرنسا وإسبانيا في ١٤ كانون الأول الحرب ضد النمسا لاستعادة أملاك أُسرة بوربون في نابولي. قررت بريطانيا تقديم الدعم المالي للنمسا، التي منيت بهزائم عدة اضطرت للانسحاب من الأرضي الايطالية التي سيطرت عليها سابقاً[١١٧].

واجه والبول انتقادات حادة من حزب الويغز وحزب التوري، الذي انتقد التخلي عن الحلف مع فرنسا. فيما نجحت الدبلوماسية البريطانية، التي لم تتأثر بالمعارضة الداخلية، بإبقاء بريطانيا بعيدة عن الاشتراك بالحرب الوراثة البولندية والقيام بجهود وساطة لأجراء مفاوضات الصلح بين الدول المتحاربة تكللت بالنجاح في مطلع تشرين الأول عام ١٧٣٥ بالإتفاق على عقد معاهدة سلام فينا. نصت على سيطرة إسبانيا على نابولي ومقاطعات سردينيا ونوفارا Novara وتورتونا Tortona. وأصبح إقليم اللورين ملك لفرنسا. وعوض الأمير فرانسيس Francis دوق اللورين (زوج ماريا تيريز) عن أمارته ومُنح دوقية توسكانيا Tuscany. بذلك تسببت دبلوماسية والبول باتساع نفوذ أسرة آل بوربون، الذي أصبح مصدر مخاطر تهدد المصالح البريطانية في أوروبا[١١٨]. وأصبحت مهمة القضاء على سطوة أسرة آل بوربون التي حصلت عليها بموجب معاهدة سلام فينا بطرق دبلوماسية جديدة.

توترت العلاقات البريطانية – الإسبانية في نهاية العام نفسه بسبب اختلاف البلدين حول حدود الامتياز الذي جاء في معاهدة أسيانتو السابقة واختلافهما حول حدود المستعمرة البريطانية في جورجيا، فشن الأسطول الإسباني والفرنسي حملة قرصنة ضد السفن التجارية البريطانية والتمثيل بالبحارة البريطانيين في المحيط الأطلسي. مما تسبب بردود فعل غاضبة داخل الشعب والبرلمان البريطاني[١١٩].

شنت الدولة العثمانية حرب ضد النمسا في عام ١٧٣٦، بتحريض من فرنسا التي قدمت عن طريق فيلنوف (سفير فرنسا في أسطنبول) استشارات للعثمانيين مكنتهم من تحقيق النصر على النمسا. ولم تتخذ الدبلوماسية البريطانية أي موقف لمواجهة تزايد النفوذ الفرنسي بالدولة العثمانية. اضطرت النمسا للموافقة

على إتفاق صلح بلغراد في عام ١٧٣٨ تنازلت عن بعض الأراضي للدولة العثمانية. واضطرت روسيا للتراجع عن أراضي الدولة العثمانية[١٢٠].

واصل والبول دبلوماسيته المحايدة بعناد ونجح في إقناع إسبانيا بالتوقيع على معاهدة تعويضات مع بريطانيا في ١٤ كانون الثاني عام ١٧٣٩، نصت على دفع إسبانيا تعويضات قدرها خمس وتسعون الف جنيه إسترليني عن الخسائر التي تعرض لها التجار والبحارة البريطانيين بسبب اعتداءات الأسطولين الإسباني والفرنسي[١٢١].

رفض الشعب والبرلمان البريطاني المعاهدة في ١٢ أذار وطالب بعزل والبول لتضحيته بمصالحه. أتبعت الدبلوماسية البريطانية طريقتها السابقة وعقد معاهدة حلف مع النمسا في ٣ أب. اضطر والبول في ٢ تشرين الأول لإعلان الحرب ضد إسبانيا. سارعت فرنسا وأعلنت مساندتها للأخيرة. وساندت بروسيا فرنسا ضد بريطانيا بالحرب، التي اندلعت لفرض النفوذ على المستعمرات الأمريكية[١٢٢]. وحصل رجال الأعمال وتجار وبحارة بريطانيين على ثروات طائلة نتيجة توسع ممتلكات بريطانيا في المستعمرات الامريكية[١٢٣].

المبحث الثاني: موقف الدبلوماسية البريطانية من حرب الوراثة النمساوية:

حدث تطور كبير اخر أثر على العلاقات الدولية الأوروبية، إذ توفي الإمبراطور النمساوي شارل السادس في ٢٠ تشرين الأول عام ١٧٤٠ دون وريث ذكر. فتولت أبنته ماريا تيريزا العرش. عارضت بافاريا وفرنسا وبروسيا وإسبانيا تولي ماريا تيريزا العرش. سعت فرنسا للقضاء على النمسا لتكون صاحبة الهيمنة بالقارة الأوروبية، فساندت مطالب أمير بافاريا بالتاج الإمبراطوري. عقدت فرنسا معاهدة حلف نيغنبورغ مع بروسيا في ١٠ كانون الأول عام ١٧٤٠ لدعم وراثة منتخب بافاريا للتاج الإمبراطوري. أنضمت بافاريا وإسبانيا وأمير سكسونيا إلى هذا الحلف[١٢٤].

شن ملك بروسيا فردريك الثاني[١٢٥] في ٢٣ كانون الأول حرب ضد النمسا. وحقق فرديك الثاني النصر عليها بمعركة مولويتز Molleitz في ٨ نيسان عام ١٧٤١ واحتلت القوات البروسية مقاطعتي سيليزيا وغلاتز النمساوية. طالبت ماريا تيريزا الدعم المالي من بريطانيا. وقعت الأخيرة معاهدة غير متكافئة مع النمسا في ١١ تموز للمحافظة على مصالح بريطانيا في هانوفر. ووقفت بريطانيا إلى جانب النمسا بتقديم لها المال والسلاح للمحافظة على حياد مقاطعة هانوفر، لأن بريطانيا ترى أهمية تقوية علاقاتها مع أسرة آل هابسبورغ لمواجهة توسع النفوذ الفرنسي في أوروبا[١٢٦].

احتلت فرنسا وبافاريا بوهيميا في ٦ تشرين الأول. قدم اللورد كارتيريت[١٢٧] Cartert (سفير بريطانيا في فينا) النصح إلى ماريا تيريزا للتصالح مع بروسيا مقابل التنازل لها عن مقاطعتي سيليزيا وغلاتز لوقف الحرب بينهما. اضطرت الإمبراطورة ماريا تيريزا للموافقة المقترح البريطاني ووقعت مع فردريك الثاني في ٩ تشرين الأول أتفاق صلح كليان – شنيلاندورف، نص على تنازل النمسا عن

مقاطعتي سيليزيا وغلاتز لبروسيا مقابل أنسحاب الأخيرة من الحرب وعدم تقديم الدعم لفرنسا فيها[١٢٨]. عبر فردريك الثاني عن رضاه لما حصل عليه وقال :"ربحت جولتي وأرسيت أمني وسلامي" [١٢٩].

حرصت النمسا للحصول على دعم بريطانيا وهولندا لتحقيق انتصار على فرنسا ومنعها من احتلال الأراضي المنخفضة النمساوية لعدم الأخلال بمبدأ التوازن الدولي الأوروبي[١٣٠]. فيما احتلت بافاريا ميونيخ. وأنتخب شارل البرت، بدعم فرنسا، في ٥ كانون الثاني عام ١٧٤٢ إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة[١٣١].

تدخلت بريطانيا بالحرب الأوروبية بشكل مباشر لمساندة النمسا عسكرياً ضد فرنسا، إذ قاد الملك جورج الثاني في ٣ شباط قوات مرتزقة ألمان نحو الأراضي المنخفضة النمساوية. وعقدت الدبلوماسية البريطانية في ١٣ أذار معاهدة حلف مع النمسا وبروسيا وأمير ساكسونيا سميت معاهدة فورمز الأولى، نص على استرجاع سكسونيا مقاطعتي الألزاس واللورين من فرنسا ودفع مساعدات مالية لنمسا بشرط تنازلها النهائي عن مقاطعتي سيليزيا وغلاتز إلى بروسيا مقابل أنسحابها من الحرب[١٣٢].

شجعت معاهدة فورمز الأولى الحكومة البريطانية لتكليف السير توماس روبنسون Sir Thomas Robinson (وزير خارجية بريطانيا لشؤون دائرة الجنوب) لتحفيز ماريا تيريزا للتصالح التام مع ملك بروسيا. اضطرت الإمبراطورة ماريا تيريزا في ٢٨ تموز لعقد معاهدة برسلاو Breslau مع فردريك الثاني، حصل الأخير بموجبها على مقاطعتي سيليزيا وغلاتز مقابل ذلك أنسحبت بروسيا بشكل كامل من الحرب[١٣٣]. فنهار التحالف الفرنسي – البروسي، رغبت فرنسا بتشكيل تحالف آخر بعد مواجهتها صعوبات عديدة[١٣٤].

تأثرت علاقة الملك البريطاني مع والبون بسبب استمراره بتنفيذ دبلوماسيته المحايدة وعدم مثابرته لمواجهة تجاوزات الأسطولي الإسباني والفرنسي وعقده معاهدة مهينة مع إسبانيا على الرغم تجاوزاتها على المصالح البريطانية بالمستعمرات الامريكية. وعين الملك جورج الثاني بدلاً عنه سبنسر كومبتون Compton Spencer (زعيم حزب التوري) لرئاسة الوزراء البريطاني. وقاد كارتيريت الدبلوماسية البريطانية مسؤول دائرة الجنوب[١٣٥].

زداد نفوذ البرلمان البريطاني على الدبلوماسية البريطانية بسبب تكاليف الحرب التي اندلعت بين بريطانيا وإسبانيا، التي اتسعت باشتراك بريطانيا بالحرب ضد فرنسا في ١٤ آب عام ١٧٤٢ بالأراضي المنخفضة النمساوية. اضطرت الحكومة بسبب حاجتها للأموال الطلب من البرلمان اصدار التشريعات لفرض ضرائب جديدة على الشعب البريطاني والمصادقة على القروض التي اقترضتها الحكومة البريطانية من الخارج، التي اغرقت البلاد بالدين العام. شجع ذلك البرلمان على طلب الاطلاع على المفاوضات الدبلوماسية التي تجريها الحكومة مع الدول الأخرى واخضاعها لمصادقة البرلمان البريطاني قبل ان تدخل المعاهدة او الإتفاقية حيز التنفيذ مقابل إقرار البرلمان الضرائب الضرورية التي تحتاجها الحكومة[١٣٦].

أسرع كارتيريت باتباع دبلوماسية جديدة ترضي ملكه في إسلوب إدارته للدولة وأفكاره السياسية، قدم كارتيريت أفكار متناقضة مع تعقيدات العلاقات الدولية الأوروبية، فقد نصح الملك بضرورة التقرب من النمسا لعقد حلف حقيقي معها مفيد لبريطانيا أفضل من غيرها(١٣٧).

تولى الكاردينال تينسين Cardinal Tencin منصب وزير خارجية فرنسا خلفاً لدي فليوري في نيسان عام ١٧٤٣، وكان أشد معارضتاً للبريطانيين. وشجع تينسين الملك الفرنسي في ١٩ حزيران على التوسع بممتلكات النمسا بالأراضي الإيطالية. استطاعتت القوات المرتزقة البريطانية تحقيق النصر على فرنسا وحلفائها في ١٥ تموز في معركة ديتنفن اضطر الجيش الفرنسي للانسحاب من الأراضي الإيطالية إلى داخل الأراضي الفرنسية. لم يرغب ملك بريطانيا بالهجوم المباشر على الأراضي الفرنسية لأن بريطانيا لا ترغب بالدخول في حرب مباشرة مع فرنسا إلا بكون بريطانيا حليفة النمسا(١٣٨).

رغبت بريطانيا أن تقدم النمسا تنازلات في ممتلكاتها الإيطالية لملك سردينيا. شعرت النمسا بالمرارة وتوترت العلاقات البريطانية – النمساوية لأصرار كارتيريت على ضرورة تنازل النمسا عن ممتلكاتها في الأراضي الإيطالية لملك سردينيا شارل عمانوئيل مقابل الحصول على دعمه هناك. فاضطرت النمسا للتوقيع على معاهدة فورمز الثانية في ١٣ أيلول مع شارل عمانوئيل(١٣٩).

أعلنت فرنسا الحرب في ١٥ أذار عام ١٧٤٤ ضد بريطانيا في أوروبا. ثم أعلنت فرنسا الحرب ضد النمسا في ٢٩ أذار. شجعت الاحداث ملك بروسيا للتوقيع على معاهدة تحالف جديدة مع فرنسا في ٥ نيسان. ثم عقد ملك بروسيا معاهدة تحالف مع ملك سردينيا وامير بافاريا في ٢٧ أيار في مدينة فرانكفورت. اشتركت دول أخرى بالمعاهدة وهي فرنسا وإسبانيا والسويد وروسيا وبلغاريا ومقاطعة البلاتينات ومقاطعة هيس الألمانية عرف بحلف فرانكفورت قسم ممتلكات النمسا وهولندا فيما بينهم. ثم وقعت بروسيا معاهدة سرية مع فرنسا في ٥ حزيران بالعاصمة فرساي لاحتلال أراضي هولندا وهانوفر(١٤٠).

عزل الملك جورج الثاني الحكومة البريطانية وكلف كارتيريت لتشكيل حكومة جديدة. أجرى رئيس الحكومة البريطانية مفاوضات مع سفير النمسا في لندن. توصلت بتوقيع البلدين في ١١ تموز عام ١٧٤٤ على معاهدة لندن. تعهدت بريطانيا بدفع مبلغ ١٥٠ ألف جنيه إسترليني إلى النمسا واتفق البلدين على مساندة كل منهما للحلف الآخر. اضطرت المعاهدة ملك بروسيا لتجديد الحرب في ٨ آب تجاه النمسا، خشية من تمكنها للانتقام منه فاحتل بوهيميا(١٤١).

ساهمت الدبلوماسية الفرنسية السرية بتعقيد الأوضاع الدولية الأوروبية، إذ أعلنت فرنسا في ١١ آب المشاركة بالحرب البريطانية – الإسبانية الجارية في المستعمرات الامريكية، تأخرت فرنسا عن المشاركة بالحرب بسبب انشغالها بحرب الوراثة النمساوية في أوروبا. اتبعت بريطانيا طريقة لمواجهة فرنسا، استخدمت فيها الأسطول البريطاني لفرض الهيمنة البريطانية على إقليم اوهايو (الواقع بالمستعمرات الأمريكية). اصطدم التوسع البريطاني بمحاولات فرنسا للتوسع في الإقليم نفسه، إذ نشطت

فرنسا لربط مستعمراتها في كندا مع مستعمراتها في إقليم لويزيانا عن طريق الأقليم. أصبح الفرنسيين يضايقون البريطانيين في المستعمرات الامريكية الشمالية. رد البريطانيون بالمثل مما سبب اتساع الحرب بينهما في ٢١ آب هناك(١٤٢).

أشتركت بريطانيا في عدة معارك ضد فرنسا لأضعاف نفوذها في أوروبا، بيد ان بريطانيا تعرضت لهزمة في معركة فونتينوي أمام القوات الفرنسية في ١٩ كانون الثاني عام ١٧٤٥(١٤٣). حدث تطور جديد أثر على تعقيد العلاقات الدولية الأوروبية، إذ توفي الإمبراطور شارل السابع (إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة) في ٢٠ كانون الثاني. فتولى جوزيف فرانسيس عرش الإمبراطورية في ٢١ كانون الثاني. عارض الملك فردريك الثاني ذلك وقرر الاستمرار بالحرب ضد النمسا. اقنعت الدبلوماسية البريطانية النمسا بتشكيل حلف وارشو في ٢٨ كانون الثاني ضم بريطانيا والنمسا وهولندا وناخب سكسونيا (ملك بولندا) تعهدت الدول المشتركة في الحلف بالتعاون المشترك فيما بينهم بكل ما تملك في حالة اشتراك أحد أعضاء الحلف في حرب مع دولة آخرى. كما دعم ناخب سكسونيا النمسا لاستعادة مقاطعتي سيليزيا وغلاتز(١٤٤).

خشي ملك فرنسا من حلف وارشو فحرض شارل أدوارد (إبن جيمس أدوارد) للمطالبة بالعرش البريطاني، إذ وصل شارل أدوارد بدعم فرنسا إلى اسكتلندا في ٧ أذار واحتل العاصمة أدنبرة، كانت بريطانيا منشغلة بالحرب مع فرنسا في الأراضي المنخفضة النمساوية، فسحبت بريطانيا قواتها من أوروبا. وواجه الدوق كامبري (ابن الملك جورج الثاني) زحف شارل ادورد نحو لندن بشجاعة وتمكن من الانتصار عليه واضطراره للهرب إلى فرنسا(١٤٥).

اقامة اليهود البريطانيين علاقات سرية لدعم ثورة اليعاقبة في بريطانيا، إذ شكل رجل الأعمال اليهودي البريطاني فرناندیز كارفاجال شبكة من العلاقات. ونجح باختراق دي سوز (سفير البرتغال في لندن) واتخذ منزله المحصن دبلوماسياً مقراً للتخطيط للتآمر ضد أسرة هانوفر وتوفير الدعم المعنوي لحركة اليعاقبة في بريطانيا. واشتركت بهذه الشبكة سفارات بعض الدول الأوروبية (فرنسا وإسبانيا والنمسا) للتأمر والتجسس ضد بريطانيا(١٤٦).

لم تبق الدبلوماسية البريطانية متفرجاً لانها تخشى توسع الحرب بانضمام بروسيا وبافاريا الحرب إلى جانب فرنسا وإسبانيا، فسعت الدبلوماسية البريطانية لعزل بروسيا وبافاريا عن حليفيتهما فرنسا وإسبانيا بدلاً من أنهاء الحرب. ونجحت الدبلوماسية البريطانية أقناع بروسيا بالتوقيع على معاهدة هانوفر السرية مع بريطانيا في ٢٦ أذار عام ١٧٤٥ بسبب قيام تمرد ثورة اليعاقبة للتفرغ لمواجهته لضمان سلامة مقاطعة هانوفر. كما اقنعت الدبلوماسية البريطانية بافاريا لتعليق مشاركتها بالحرب وموافقتها في ٢٢ نيسان على معاهدة فوسين Fuessen بينها وبين النمسا. نصت معاهدتي هانوفر وفوسين على ما جاء في معاهدة دريسدن بتولى فرانسيس العرش الإمبراطوري وضم بروسيا لسيليزيا وغلاتز لممتلكاتها(١٤٧).

رعت الدبلوماسية البريطانية مفاوضات بين ماريا تيريزا وملك بروسيا، بعد تحقيقه الانتصار على النمسا في معركة هوهنفريدبيرغ، في ٥ حزيران لعقد الصلح بين البلدين. وافقت بروسيا على شروط الصلح. لكن النمسا رفضت توقيعه. فارسلت الحكومة البريطانية وزير خارجيتها توماس روبنسون إلى فينا لإقناع ماريا تيريزا بعقد الصلح، وذكر الوزير البريطاني الإمبراطورة بأن بلاده زودت النمسا بمبلغ 1,078,733 جنية إسترليني خلال العام الماضي فقط للمحافظة ممتلكات إمبراطورية هابسبورغ وطالبها بضرورة عقد الصلح مع بروسيا. بيد ان ماريا تيريزا رفضت ذلك(١٤٨).

اضطرت النمسا للتوقيع على معاهدة درسدن Dresden في ١٥ كانون الأول مع بروسيا. أقرت ما جاء في معاهدة بريسلاو بتنصيب فرانسيس جوزيف إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة مقابل التأكيد على تنازل النمسا لبروسيا عن مقاطعتي سيليزيا وغلاتز. تمت المعاهدة بنصيحة وضغط من الدبلوماسية البريطانية، التي تسعى للتخلص من الالتزامات الثقيلة بسبب تدخلها بالشؤون الداخلية للدول الأوروبية(١٤٩).

تخشى النمسا قيام بريطانيا بقطع المساعدات المالية التي تحصل عليها، لكنها أستاءت من بريطانيا لدرجة كبيرة لانها أجبرت ماريا تيريزا على التنازل عن أراضيهامما سبب توتر العلاقات البريطانية – النمساوية(١٥٠).

بدد دخول روسيا للحرب إلى جانب بريطانيا حلم فرنسا بالتوسع في الأراضي المنخفضة النمساوية، إذ نجحت المفاوضات التي قامت بها الدبلوماسية البريطانية مع القيصرة الروسية اليزابيث (١٧٤١ – ١٧٦٢) بعقد إتفاق بين بريطانيا وروسيا في ٢٢ أيار عام ١٧٤٦ لتأجير ثلاثين ألف جندي روسي. وتم نقلهم عن طريق الأسطولي البريطاني والهولندي إلى الأراضي المنخفضة النمساوية في ٩ تموز للمشاركة بالحرب ضد فرنسا وإسبانيا، للدفاع عن ممتلكات بريطانيا في هانوفر، لأن بريطانيا تعتبرها جبهة الدفاع الأولى عن سواحلها(١٥١).

استطاعت الدبلوماسية البريطانية من التقارب مع إسبانيا، الذي لم ترغب به الملكة اليزابيث فارنيس Elizabeth Farnese (زوجة الملك فيليب الخامس الثانية) وترغب بالدخول في صراع مع بريطانيا بسبب وفاة الملك في ٩ تموز. فأسرع الملك الإسباني الجديد فرديناند السادس (ابن الملك فيليب الخامس من زوجته الأولى آنا ماريا) بالموافقة على عقد إسبانيا معاهدة تجارية مع بريطانيا في عام ١٢ تموز مقابل اعتراف بريطانيا بتوليه عرش إسبانيا. أستعادت بريطانيا الامتيازات التجارية التي تمتعت بها سابقاً في المستعمرات الإسبانية الامريكية(١٥٢).

تمكنت الدبلوماسية البريطانية اجراء مفاوضات مع الدول هولندا والنمسا ومملكة سردينيا توصلت في ٢٦ كانون الثاني عام ١٧٤٧ لعقد إتفاقية حلف لاهاي الثانية بين بريطانيا وهذه الدول. نصت على تزويد هولندا لحلفائها أربعون ألف جندي واثنتا عشر سفينة للاشتراك مع الأسطول البريطاني في مهاجمة السفن

التجارية الفرنسية في المحيط الأطلسي. وتعهدت بريطانيا بتوفير أربعون ألف جندي وتخصيص ثلاثون سفينة لشن الحرب ضد فرنسا بالأراضي المنخفضة النمساوية ومنحت بريطانيا مساعدة مالية قدرها أربعمائة ألف جنيه إسترليني للنمسا. وتعهدت بريطانيا بمنح مملكة سردينيا مبلغ ثلاثمائة ألف جنيه إسترليني. وتعهدت النمسا بتجهيز ستون ألف جندي بالحرب ضد بروسيا(١٥٣).

اصرت الدبلوماسية البريطانية على استمرار رعايتها لأُسرة آل هابسبورغ، فقد أرسلت وزارة الخارجية البريطانية اللورد جون إريل هايندفورد في ٣ أذار إلى فينا لأقناع ماريا تيريزا باستمرار التعاون الحكيم مع بريطانيا لتولي أبنها الدوق جوزيف العرش الإمبراطورية خلفاً لأبيه الإمبراطور فرانسيس جوزيف. بيد ان النمسا شعرت بالحنق الشديد تجاه بريطانيا، ولم تعطي أي وعد لبريطانيا (١٥٤).

سعت الدبلوماسية الفرنسية لاخراج هولندا من الحلف، فأجرت السفارة الفرنسية في لاهاي مفاوضات سرية مع هولندا في ١٧ نيسان لوقوف الأخيرة على الحياد بالحرب. بيد ان السفير الفرنسي فشل في اقناع هولندا للتخلي عن تحالفها المعادي لفرنسا. الامر الذي دفع فرنسا في ١٩ نيسان لأعلان الحرب ضد هولندا، احتلت القوات الفرنسية الأراضي الهولندية. اسرعت القوات البريطانية والنمساوية للدفاع عليها وحقق الجيش الفرنسي النصر في ٢ تموز بمعركة لاوفيلد على قوات الحلفاء. فشن الأسطول البريطاني في مطلع شهر تشرين الأول بحملة قرصنة ضد السفن التجارية الفرنسية بالمحيط الاطلسي(١٥٥).

أرادت الحكومة البريطانية زيادة عدد قواتها، فأعلن رئيس الوزراء البريطاني في ٥ تشرين الأول عن السماح لجميع الأسكتلنديين الراغبين بخدمة جلالة الملك البريطاني للالتحاق بالجيش البريطاني، بعد ان كانوا يسمح لهم سابقاً بالعمل بالتجارة والزراعة دون الاشتراك بالجيش البريطاني(١٥٦).

رغبت الدبلوماسية البريطانية تحفيز روسيا لمشاركة المزيد من جنودها بالحرب، فأجرت بريطانيا مفاوضات مع روسيا في ٣٠ تشرين الثاني تم الإتفاق على توقيع معاهدة تنص على قيام بريطانيا بتقديم مساعدة مالية لروسيا مقابل قيام روسيا بارسال سبع وثلاثون ألف جندي روسي للدفاع عن أراضي هولندا ضد العدوان الفرنسي. وتم نقل الجيش الروسي على متن السفن الروسية في ٩ كانون الثاني عام ١٧٤٨ إلى الأراضي البولندية. وطلبت هولندا من بريطانيا في ٣ شباط للحصول على مساعدات مالية وهددت بالانسحاب من الحرب إذ رفض البرلمان البريطاني منحها القرض. لم يكن بمقدور بريطانيا الاستمرار بالحرب دون هولندا، لذا وافقت على القرض المالي الذي طلبته. وارسلت الدبلوماسية البريطانية في ٣٠ نيسان اقتراح إلى فرنسا لعقد هدنة لوقف الحرب. وافق ملك فرنسا على المقترح البريطاني. وتم وقف اطلاق النار بين البلدين(١٥٧).

اقتنعت الدول المشاركة في الحرب بصعوبة تحقيق أمنياتها، فاتفقت على معاهدة عقد صلح أكس لاشابيل في تشرين الأول عام ١٧٤٨، نصت على الاعتراف بتولي ماريا تيريزا عرش النمسا وتنازلها عن مقاطعتي سيليزيا وغلاتز لبروسيا. وتنازل النمسا عن أراضيها الإيطالية لإسبانيا وسردينيا وتولي فرنسيس

جوزيف عرش الإمبراطورية وتولي الأمير بافاريا عرش إقليم اللورين الذي يتحول بعد وفاته لملك فرنسا. تخلت فرنسا عن كل الأراضي التي استولت عليها في الأراضي المنخفضة النمساوية وسافوي ونيس[١٥٨].

لم تعلم الدبلوماسية البريطانية بعقد معاهدة لم الشمل بين البلاطين الفرنسي والإسباني المعادي لبريطانيا. يُعد جزء من السياسة الخارجية الفرنسية والإسبانية السرية التي وحدت دبلوماسية المملكتين الموجه ضد بريطانيا دون علم ساستها وقادة دبلوماسيتها. كان بريستول Bristol (سفير بريطانيا في مدريد) جاهلاً بكل المفاوضات الدبلوماسية الفرانكو – إسبانية، وكان عملاءه السريين غافلين عن اكتشاف ذلك[١٥٩].

ظلت الدبلوماسية البريطانية متيقنة من إخلاص إسبانيا في علاقتها مع بريطانيا، إذ أرسلت الحكومة البريطانية اللورد تايراولي Tyrawley (ضابط بالأسطول البريطاني) مبعوثاً خاصاً إلى لشبونة للعمل على منع اندلاع حرب بين إسبانيا والبرتغال. لكن الأخير فشل في مهمته. وأتهم السير جون نوريس John Naris (سفير بريطانيا في لشبونة) السبب وراء ذلك مما تسبب بعزله[١٦٠].

حققت بريطانيا ثروات كبيرة من التجارة الخارجية، إذا ازدادت صادرات بريطانيا للضعف في عام ١٧٤٩، بلغت صادرات بريطانيا إلى مستعمرات أمريكا الشمالية (٥٢٤) ألف جنيه إسترليني قبل الحرب ارتفعت الى مليون ومائة ألف جنيه إسترليني في العام نفسه. وبلغت صادرات بريطانيا إلى المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية قبل الحرب (٤٧٣) ألف جنيه إسترليني ارتفعت إلى (٧٣٢) ألف جنيه إسترليني بعد الحرب. وازدادت صادرات بريطانيا إلى الهند من (١١٢) ألف جنيه إسترليني قبل الحرب إلى (٥٢٢) ألف جنيه إسترليني بعد الحرب. واستمر التنافس البريطاني الفرنسي للهيمنة على المستعمرات الامريكية ولم تزيل معاهدة أكس لاشابيل شيئاً منه[١٦١].

اصبحت النمسا تشك بحليفتها بريطانيا لتنظيمها في العام نفسه عصبة معادية للنمسا تضم (فرنسا وهولندا وإسبانيا). فيما كانت بريطانيا مهتمة بالتوسع في التجارة الخارجية والمستعمرات الامريكية، لم تكن مصالحها المشتركة مع النمسا كبيرة هناك. سعى الدوق نيوكاسل (وزير خارجية بريطانيا لشؤون دائرة الجنوب)، لاقامة حلف الأنكلو – نمساوي في العام نفسه بالدعوة إلى انتخاب جوزيف (إبن ماريا تيريزا) إمبراطوراً خلفاً لوالده. لم تساهم هذه الدعوة في عودة العلاقات الودية بين البلدين[١٦٢].

اقتنع الفرنسيون بأهداف بريطانيا للمحافظة على تجارتها الخارجية والتوسع في المستعمرات الامريكية، فاتخذت فرنسا سياسة لمواجهة النشاط البريطاني هناك. لم تشعر فرنسا بالثقة من الملك فردريك الثاني، الذي يمكن الانقلاب عليها إذ احتلت بروسيا أراضي نهر الراين. أجرت فرنسا مفاوضات سرية في فرساي مع سفير النمسا لإعادة رسم خريطة التحالفات الأوروبية. ورغبت النمسا بعزل فرنسا عن حليفتها بروسيا، أجرى كارنتز (مستشار الإمبراطور النمساوي) خلال زيارته إلى فرساي في عام ١٧٥٣

مفاوضات سرية لعقد معاهدة حلف بين البلدين. لكنها فشلت بسبب خشية ملك فرنسا أن يسبب التحالف مع النمسا في إشتراك بلاده في الحرب ضد بروسيا(١٦٣).

اختلف اهتمام بريطانيا في حزيران عام ١٧٥٥ عما سبق، إذ دخلت في صراع محموم مع فرنسا بالمستعمرات الامريكية. استولى الأسطول البريطاني في حزيران ١٧٥٥ على (٣٠٠) سفينة فرنسية تحمل (٨٠٠٠) بحار فرنسي(١٦٤).

ساند اللورد روبرت دراسي Robert Dracy (وزير خارجية بريطانيا لشؤون دائرة الجنوب) جهود الدوق نيوكاسيل (رئيس الوزراء البريطاني) لتجديد الحلف الإنكلو–نمساوي، لكن دراسي كان أضعف من سلفه. كذلك فشل روبرت كيث Robert Keith (سفير بريطانيا في فينا) في تقوية علاقات بريطانيا مع أصدقاءها النمساويين أو كسب ثقة الإمبراطورة النمساوية، لعدم امتلاك السفير صفات الذكاء والانتباه في عمله(١٦٥).

لم تستهن الإمبراطورة ماريا تيريزا بعلاقاتها مع بريطانيا، لكنها رأت أنَّ تحالف بلادها مع بريطانيا لا يستطيع الصمود أمام أي أزمة دولية جديدة. واعتقدت الإمبراطورة بأنَّ الهدف الحقيقي للدبلوماسية البريطانية تجاه النمسا هو القضاء على نفوذ أُسرة آل بوربون في أوروبا، لذلك أرجأت الإمبراطورة إعلان موقفها من استمرار التحالف مع بريطانيا حتى تتغير الأوضاع الدولية في أوروبا(١٦٦).

توجهت الدبلوماسية البريطانية لتمتين علاقاتها مع القيصرة الروسية اليزابيث، فعقدت بريطانيا في ٢٨ شهر أيلول معاهدة حلف مع روسيا. نصت على حصول روسيا على مساعدات مالية من بريطانيا لتدريب وتسليح خمسة آلاف وخمسمائة جندي روسي والاستعدادهم للدفاع عن مقاطعة هانوفر ضد أي عدوان فرنسي أو بروسي. ونصت المعاهدة أن يتم نقل الجيش الروسي بواسطة الأسطول البريطاني إلى مقاطعة هانوفر(١٦٧).

أثارت المعاهدة هذه ملك بروسيا فردريك الثاني وأجبرته لعقد معاهدة حلف ويستمنستر Westminster مع بريطانيا في ١٤ كانون الثاني عام ١٧٥٦ تم التحالف بين البلدين. كانت بريطانيا بحاجة إلى التحالف مع دولة قوية في أوروبا للمحافظة على ممتلكاتها في مقاطعة هانوفر لتكون قاعدة لتوزيع التجارة البريطانية في شمال أوروبا وتوجيه القوات الفرنسية نحو البر الأوروبي. فاتفقت بريطانيا مع بروسيا للمحافظة على حياد الأراضي الألمانية في أي صراع بروسي – فرنسي أو صراع بريطاني – فرنسي. وتعهد ملك بروسيا عدم تقديم مساعدة لفرنسا في أي حرب تشنها ضد بريطانيا(١٦٨). لم ترغب بريطانيا بالتحالف مع النمسا الضعيفة التي تنازلت عن أراضيها سابقاً، واختارت بروسيا القوية لتكمل شكل تحالفاتها إلى جانب هولندا وروسيا.

برهنت تطور الأحداث ضعف مهارات ممثل الدبلوماسية البريطانية في فينا بالمقارنة مع ممثل الدبلوماسية الفرنسية في العاصمة النمساوية. لم يتوقع كيث تحالف ماريا تيريزا مع فرنسا بسبب غيابه عن

النمسا للمدة طويلة للتفاوض مع ملك بروسيا أو لمتابعة المصالح البريطانية بالدولة العثمانية. قاد الإهمال الدبلوماسي البريطاني حليفتها الإمبراطورة ماريا تيريزا للتحالف مع فرنسا(١٦٩).

اقترحت الإمبراطورة ماريا تيريزا، فور معرفتها بالمعاهدة الأخيرة، على السفير الفرنسي في فينا، بإقتراح من هنري فوكس Henry Fox (وزير خارجية النمسا)، في ١٨ أذار عام ١٧٥٦ لإقامة تحالف نمساوي– فرنسي للانتقام من بروسيا(١٧٠).

أثارت معاهدة حلف ويستمنستر الفرنسيون فاهتموا المقترح النمساوي الجديد، فاجرى رويلي Rouille (وزير خارجية فرنسا) مفاوضات مع فرانسوا دي بيريز بيرنز France de Pierres Bernis (سفير النمسا في فرساي) توصل البلدين في الأول من أيار إلى إتفاق لعقد معاهدة فرساي الأولى. تعهد الطرفين بالمشاركة بأربع وعشرين ألف جندي في أي حرب إلى جانب حليفها وتعهد النمسا بالوقوف على الحياد عند اشتراك فرنسا في حرب ضد بريطانيا. وتعهدت فرنسا بمساعدة النمسا في حالة اشتراكها في حرب ضد بروسيا. ثم تحالفت النمسا مع إسبانيا وبافاريا وساكسونيا وبعض الإمارات الألمانية(١٧١).

يُعد التحالف الفرنسي – النمساوي أكثر التطورات الدبلوماسية الأوروبية مفاجئة لمواجهة أعدائهما، بريطانيا عدوة الأولى وبروسيا عدوة الثانية. يؤمن تحالفهما التعاون في أي حرب ضد أحد أعدائهما أو مجتمعين في أوروبا(١٧٢). وقّع معاهدة فرساي الأولى عن الجانب الفرنسي رويلي، فيما وقعها عن النمسا بيرنز. التقى السفير البريطاني في فينا بالإمبراطورة ماريا تيريزا وسألها عن أسباب هجرت بريطانيا، ردَّت الإمبراطورة لأنَّ وزراء الملك البريطاني فرضوا عليها التنازل عن أراضي النمسا في مقاطعتي سيليزيا وغلاتز(١٧٣).

انتهى التحالف الفرنسي– البروسي بعقد التحالف الفرنسي – النمساوي، إذ لم يسامح الملك لويس الخامس عشر انتهازية الملك فردريك الثاني، ورحب الملك الفرنسي بالتحالف مع النمسا لمواجهة معاهدة حلف ويستمنستر لتحقيق الأهداف المشتركة لفرنسا والنمسا. وافقت فرنسا على دعم النمسا ضد بروسيا بشرط عدم غزوها هولندا(١٧٤).

توترت العلاقات الروسية – البريطانية، أثر عقد الأخيرة معاهدة حلف مع بروسيا. لم يَبقَ أمام الدبلوماسية البريطانية الآن لتحقيق أهدافها إلَّا إغداق المال البريطاني على روسيا، فقدمت الحكومة البريطانية المساعدات المالية الضخمة إلى الحكومة الروسية عن طريق بيستوشوف Bestuchoff (سفير روسيا في لندن) ضمنت موافقة القيصرة إليزابيث للإنضمام روسيا إلى معاهدة حلف ويستمنستر(١٧٥)، وقعت روسيا في ١٢ أب معاهدة حلف مع بريطانيا وبروسيا(١٧٦).

انقسمت الدول الأوروبية ما بين حليف لبريطانيا أو لفرنسا، مما هدد بإدخال القارة في حربٍ جديدة تشترك فيها الدولتين وحلفائهما. كانت قوة الطرفين غير متكافئة تقريباً، بريطانيا تملك (١٢٠) سفينة حربية كبيرة و(١٠٤) بارجة حربية في النصف الثاني من العام نفسه. بينما تملك فرنسا حوالي (٥٧) سفينة

حربية كبيرة و(٤) بارجة حربية في العام نفسه. فيما تملك إسبانيا نحو (٣٣) سفينة حربية و(٧٢) بارجة حربية في العام نفسه. بالتالي يمتلك تحالف فرساي الأولى نفس عدد سفن الأسطول البريطاني تقريباً[١٧٧]، بيد ان حلفاء بريطانيا يتفوقون بامتلاك الأسطول العسكري بإضافة سفن الأسطول الهولندي إليهم، الذي يتفوق على اعداد سفن الأسطول الإسباني.

بالإضافة إلى امتلاك فرنسا والنمسا وإسبانيا جيش بري كبير جداً ، لا يوازيه جيش بروسيا وروسيا، يستطيع غزو الجزر البريطانية شرط تمكنه من عبور القناة الإنكليزية. فاضطرت بريطانيا ان تبقي جزء من قواتها واسطولها للدفاع عن حدودها. فاضطرت بريطانيا لمنح حليفتيها بروسيا وروسيا مساعدة مالية كبيرة لتطوير جيشهما والاهتمام بالأوضاع الاقتصادية في بلادهما[١٧٨].

غزا ملك بروسيا أراضي سكسونيا في ٢٢ آب عام ١٧٥٦، استطاعت الأخيرة الصمود حتى وصول الدعم من القوات النمساوية. لم يكن باستطاعة فرنسا التوسع في الأراضي المنخفضة النمساوية أو التوسع في أراضي نهر الراين خشية بروسيا[١٧٩].

اضطرت فرنسا لعقد معاهدة فرساي الثانية مع النمسا في الأول من أيلول. تعهدت فرنسا بالإبقاء على (١٠٥) ألف جندي من قواتها قرب الحدود مع النمسا ودفع مساعدات مالية كبيرة قدرها ثلاثون مليون ليفر لدعم النمسا في حربها مع بروسيا في الأراضي الألمانيا مقابل تنازلها لفرنسا عن أربع مدن في الأراضي المنخفضة النمساوية. وأكدت المعاهدة على مشاركة فرنسا إلى جانب النمسا لاسترجاع مقاطعتي سيليزيا وغلاتز من بروسيا[١٨٠].

أعلنت فرنسا في ٢٩ أيلول الحرب ضد بريطانيا، فاشتركت فرنسا في الحرب الأوروبية في الوقت الذي كانت فيه منشغلة في حرب آخرى مع بريطانيا بالمستعمرات الامريكية. تكبدت بريطانيا عدة هزائم في أوروبا والمستعمرات الامريكية، فاضطر الدوق نيوكاسل (رئيس الوزراء البريطاني) في نهاية شهر تشرين الأول لتقديم استقالة الحكومة البريطانية. وكلف الملك البريطاني الدوق وليم كافنديش لتشكيل حكومة جديدة في ٢١ تشرين الثاني. بيد ان الحكومة البريطانية سرعان ما انهارت بعد أربعة أشهر من تشكيلها. وشكل الدوق وليم بث (جاثام) حكومة ائتلافية مع الدوق نيوكاسل في ٢٩ حزيران عام ١٧٥٧. احتل الجيش الفرنسي في ١٥ آب مقاطعة هانوفر. لكنه تم محاصرته من قبل الجيش البريطاني والجيش البروسي، فاضطر الفرنسيون للاستسلام في ١٢ أيلول[١٨١].

الخاتمة:

ازداد احتياج بريطانيا لإتباع دبلوماسية جديدة في النصف الأول من القرن الثامن عشر بسبب سياسة فرنسا لفرض نفوذها في أوروبا والتنافس الفرنسي للمصالح البريطانية في المستعمرات الامريكية، فانتهجت بريطانيا بعد عقد معاهدة اوترخت عام ١٧١٣، دبلوماسية جديدة فريدة، أصبح الحكم على الأحداث لا يلتزم بالمبادئ والقيم الأخلاقية بل تنظر إلى مصلحة البلاد، التي سعت للتوجيه والاستفادة من الصراع على النفوذ في أوروبا بين أُسرة آل بوربون وأُسرة آل هابسبورغ ليصبّ في مصلحة بريطانيا.

استندت الدبلوماسية البريطانية لتطبيق مبدأ التوازن الدولي لمنع الدول العدوة لبريطانيا والدول الحليفة (فرنسا وإسبانيا والنمسا وروسيا والسويد وبروسيا وهولندا والدانمارك والبرتغال والدولة العثمانية) من فرض نفوذها بالقوة في أوروبا او بالمناطق الاستراتيجية في المستعمرات الامريكية.

خلال تتبعنا لدراسة الدبلوماسية البريطانية للمدة (١٧١٤ – ١٧٥٦) توصلتُ للاستنتاجات التالية:

أولاً: لم تكن الدبلوماسية الإنكليزية في نهاية القرن السابع عشر أكثر نشاطاً وانعداماً للضمير مثلما كانت في العقد الأول من القرن الثامن عشر. واتّبعت إنكلترا دبلوماسية سُميّت الميكيافيللية الجديدة، كانت علاقات ملك إنكلترا متوترةً مع ملوك الدول الأوروبية، وكل منهم متلهّف لأنْ يسبق زميله للأعتداء على بلاده بدلاً من إقامة علاقات رجال دول يتشاورون بشأن شؤون شعوبهم وبلدانهم.

ثانياً: التزمت الدبلوماسية الإنكليزية بالعقد الأول من القرن الثامن عشر بسياستها التقليدية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأوروبية، بشرط عدم انتهاك مبدأ التوازن الدولي أو المصالح البريطانية في أوروبا بسبب الصعوبات التي واجهتها الحكومة البريطانية وانعدام التنظيم الدبلوماسي البريطاني وعدم مسؤولية الجهاز الدبلوماسي، الذي يتكون من وزيرين أحدهما مسؤول دائرة الشمال والثاني مسؤول دائرة الجنوب تتبعهما السفارات البريطانية في دول أوروبا، أمام البرلمان البريطاني وكانوا مسؤولين أمام الملك البريطاني فقط.

ثالثاً: تغيير هذا النظام وأصبح وزيرا الخارجية البريطانية مسؤولين أمام البرلمان، فضلاً عن كونهما مسؤولين أمام الملك منذ عام ١٧١٤، وازدادت أهمية الدبلوماسية البريطانية في عهد ملكي أُسرة هانوفر.

رابعاً: تخبُّطت الدبلوماسية البريطانية في التعامل مع العواهل الأوروبية، يمكن تعقب آثار الكثير من حالات التخبُّط والإرباك والإخفاق للدبلوماسية البريطانية في علاقاتها مع الملك لويس الخامس عشر والإمبراطور شارل السادس والملك فردريك الثاني والملك فيليب الخامس بسبب عدم فعالية السلطتين التشريعية والتنفيذية البريطانية في العقد الثاني من القرن الثامن عشر.

خامساً: كانت الدبلوماسية البريطانية مضطربة ومتناقضة، هي استجابة للأحداث والظروف، تجاه فرنسا في العقد الثاني من القرن الثامن عشر. لم تكن جهود قادة الدبلوماسية البريطانية قادرة على منع تحقيق الدبلوماسية الفرنسية أهدافها، إذ التزمت الدبلوماسية البريطانية بدعم ممتلكات الإمبراطورية

النمساوية مالياً وعسكرياً ضد توسُّع النفوذ الفرنسي. التزمت الدبلوماسية البريطانية بخطة للقضاء على عدوتها فرنسا لحماية أملاك أُسرة آل هابسبورغ لا لخدمة مصالح بريطانيا ولرعاية مصالح النظام الأوليغاركي الحاكم في بريطانيا، إذ استخدم الملك جورج الأول وزيرا خارجيته بوصفهما خدماً لأُسرة آل هانوفر لأجل إرسال التوجيهات إلى ممثليهم خارج بريطانيا للقيام بمهام سرية تتنافى مع أهداف الدبلوماسية البريطانية.

سادساً: تأثرت الدبلوماسية البريطانية بشدة بالخلافات الشخصية بين الساسة البريطانيين أنفسهم أو بين الشركات التجارية البريطانية والدول الأوروبية الذي يحدد موقف الحكومة البريطانية من تطور الأحداث في أوروبا. تكررت حالات التدخلات الشخصية لسياسيين ومستشارين غير مسؤولين عن الشؤون الخارجية بكثرة في عمل الدبلوماسية البريطانية، ترتبط مصالح هؤلاء الأشخاص في تطور الأحداث الخارجية في العقد الثالث من القرن الثامن عشر، فشكل التأييد الملكي ضامن أساسي لتحقيق ذلك الطموح، وأمكن ضمانه بسهولة من خلال تدخل السيدات المقرَّبات من الأُسرة المالكة البريطانية، وحصل كارتيريت على منصبه عن طريق إحدى شخصيات البلاط الملكي التي تأخذ الذهب والمجوهرات. كان كارتيريت وطاونسيند وزيرا خارجية بريطانيا في حكومة والبول متنافسَين على تولي قيادة الدبلوماسية البريطانية يكره أحدهما الآخر ولا يثق أحدهما بالآخر إلى حد لا أحد منهما يسمح للملك جورج الأول أنْ يكون بمنأىً عن الأنظار للحظة مع زميله. لذلك حينما ذهب ملكهما إلى هانوفر، أصرَّ كلاهما على مرافقته. ساعد غيابهما نجاح دبلوماسية والبول. وحين اشتدت الخلافات بين الشخصين، عزل والبول كارتيريت وعيَّن بدلاً عنه الدوق نيوكاسل بمنصب وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب، الذي أسرع بتعيين فرانس سفيراً لبريطانيا في فرساي، إلَّا أنَّ طاونسيند اعترض على حق زميله في إدارة تلك السفارة. أثَّر نزاع الوزيرين سلباً على الدبلوماسية البريطانية خلال العقد الثالث من القرن الثامن عشر.

سابعاً: كانت الدبلوماسية البريطانية مشوشة في النصف الأول من القرن الثامن عشر، بسبب تكرار حالات سفر الملك ووزرائه إلى هانوفر، إذ قضى الملك جورج الأول خمس سنوات من حكمه في أملاك أُسرة هانوفر الألمانية خلال مدة حكمه البالغة ثلاثة عشر عاماً، وقضى ولده الملك جورج الثاني نصف مدة حكمه البالغة ثلاثة وثلاثين عاماً خارج بريطانيا، وكان يرافقه دائماً أحد وزيري الخارجية، كان الوزير الذي بقي في البلاد يحقد ضد زميله الذي رافق الملك، سيلزم الوزير المرافق للملك الحكومة البريطانية تنفيذ أفكاره التي اقتنع بها الملك، مما جعل الدبلوماسية البريطانية متذبذبة. كره الدوق نيوكاسل (وزير خارجية بريطانيا مسؤول دائرة الجنوب) السفر للخارج لأسباب شخصية غير مهنية، ورأى عدم ملائمة الشخص الذي يقوم بذلك للخدمة العامة.

ثامناً: تولى مهمة الدبلوماسية البريطانية بعض الشخصيات لا يمتلكون أدنى مستوىً من الحكمة والتخطيط الدقيق ويتحكم بهم أعداءهم السياسيين في بريطانيا. عاش السفراء بسفاراتهم في الدول

الأوروبية عيشة الكفاف للقسم الأعظم منهم، تُدفع رواتبهم في مواعيدها، لكن مخصصات الطعام والإنفاق الجانبي يتأخر صرفها وتتم مطالبة الخزينة لأشهر عديدة وحتى لسنوات قبل أنْ تتم تسوية هذه الديون.

تاسعاً: اتسمت الدبلوماسية التي اتبعها والبول خلال العقد الرابع من القرن الثامن عشر بالمناورة السياسية بهدف استيعاب معارضيه لتحقيق أهداف دبلوماسيته المحايدة لتعزيز موقفه داخل حزب الويغز والبرلمان البريطاني. استمر والبول بسياسة عدم التدخل بالمشاكل الداخلية للدول الأوروبية وإبعاد الحرب عن بريطانيا، لكنه لم يتوقع قيام حلفٍ بين مملكتي فرنسا وإسبانيا، إذ فشلت الدبلوماسية البريطانية التي اتّبعها والبول. كما فشل والبول في اتّباع دبلوماسية جديدة لمواجهة ذلك، مما أدى إلى فقدان بريطانيا لمركزها المتفوّق في أوروبا بتوحُّد أُسرة آل بوربون ضد المصالح البريطانية في أوروبا والمستعمرات الامريكية.

عاشراً: عدم التزام الدبلوماسية البريطانية بالدفاع عن الإمبراطورية النمساوية، اثار إجبار الإمبراطورة ماريا تيريزا على التنازل عن أراضي مقاطعتي سيليزيا وكلاتز النمساوية حقد شديد لدى الإمبراطورة ضد بريطانيا.

حادي عشر: ازداد نفوذ البرلمان البريطاني على الدبلوماسية البريطانية منذ عام ١٧٤٢ بسبب تكاليف الحرب بين بريطانيا وإسبانيا واتساعها في عام ١٧٤٤ بأنضمام فرنسا إلى جانب إسبانيا، مما اضطر الحكومة للطلب من البرلمان اصدار التشريعات الجديدة لفرض ضرائب جديدة على الشعب البريطاني او المصادقة على القروض التي اقترضتها الحكومة البريطانية من الخارج، مما أغرق البلاد بالدين العام. وشجع البرلمان على الطلب الاطلاع على المفاوضات التي تجريها الحكومة مع الدول الأخرى واخضاعها لمصادقته قبل ان تدخل حيز التنفيذ مقابل إقرار الضرائب الضرورية التي تحتاجها الحكومة.

اثنتا عشر: انتقلت مسؤولية قيادة الدبلوماسية البريطانية إلى أشخاص اتبعوا سياسة خارجية فاعلة مع الأوضاع التي تمرّ بها أوروبا، إذ نجحت الدبلوماسية البريطانية في عهد روبنسن في عقد معاهدة بريسلاو ومعاهدة فويسين ومعاهدة هانوفر ومعاهدة دريسدن. وكذلك نجحت الدبلوماسية البريطانية في عهد اللورد دراسي بتغيير شكل التحالفات بعقد معاهدة حلف ويستمنستر وبعقد معاهدة فرساي الأولى المواجهة لها، التي سببت تغيُّر الوضع الدبلوماسي في أوروبا.

ثالث عشر: تخلَّت الدبلوماسية البريطانية في عام ١٧٥٦ عن حليفتها النمسا وتحالفت مع عدوتها بروسيا. دفع النمسا إلى التحالف مع فرنسا ضد بريطانيا وبروسيا.

رابع عشر: أضطرت الدبلوماسية البريطانية لإغداق الأموال البريطانية لضمان انضمام روسيا للتحالف البريطاني – البروسي في عام ١٧٥٦.

الهوامش:

(١) علي محمد أمنيف الرفيعي، القوة الناعمة وأثرها في مستقبل الهيمنة الأمريكية، بيروت، دار السنهوري، ٢٠١٦، ص٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠..
(٣) المصدر نفسه، ص٦١.
(٤) ماثيو أندرسون، تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا، ترجمة: نور الدين حاطوم، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦، ص٢٢٧.
(٥) التوازن الدولي: يمنع أي دولة من التوسُّع على حساب دولة أُخرى، ممَّا يجعلها لا يمكن مواجهتها من الدول الأُخرى. انظر: إبراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩، ص٥٦.
(٦) زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، عمَّان، دار المسيرة، ٢٠١٢، ص ص٢٢٥-٢٢٦.
(٧) عبد الحميد البطريق وعبدالعزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٤، ص ص٢٢٧-٢٢٨؛ رولان مورسنييه وآخرون، تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر)، ترجمة: يوسف أسعد داغر و فريد م. داغر، بيروت، عويدات للنشر، ٢٠٠٣، ج٥، ص٢١٨.
(٨) جيفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، عمَّان، الأهلية للنشر، ٢٠٠٦، ص١٩٤.
(٩) المصدر نفسه، ص٣٠١؛ جلال يحيى، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأُولى، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٣، ص٧٤.
(١٠) عبد المجيد نعنعي، أوروبا في بعض الأزمة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣-١٨٤٨، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٣، ص١٥١.
(١١) المصدر نفسه، ص١٥٢؛ برون، المصدر السابق، ص٢٩٠؛ عبدالحميد البطريق وعبدالعزيز نوار، المصدر السابق، ٢١٩.
(١٢) برون، المصدر السابق، ص٣٠٣؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٧٤.
(١٣) نجم، المصدر السابق، ص ص٢٢٨-٢٢٩؛ يحيى، المصدر السابق، ص٧٤.
(١٤) يان دوبراتشينسكي، أوروبا والمسيحية (زمن المسيحيين الفاترين)، ترجمة: كبرو لحدو، دمشق، دار الحصاد، ٢٠١٨، الجزء الخامس، ص٢٠٨.
(١٥) هاشم صالح التكريتي، موجز تاريخ أوربا في القرن الثامن عشر، بغداد، مكتبة عدنان، ٢٠١٧، ص٢١؛ برون، المصدر السابق، ص٢٩٠.
(١٦) لورانس جيمس، شروق الامبراطورية البريطانية وغروبها، ترجمة: عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦، ص١٠٥؛ التكريتي، المصدر السابق، ص١٣٧.
(١٧) مايكل شيهان، توازن القوى التاريخ والنظرية، ترجمة: أحمد مصطفى، القاهرة، مركز المحروسة للنشر، ٢٠١٥، ص١٢٨.
(١٨) جيريمي بلاك، تاريخ الدبلوماسية، ترجمة: أحمد علي سالم، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٣، ص١٧٩.
(١٩) برون، المصدر السابق، ص٣٠٣؛ عبدالمجيد نعنعي، المصدر السابق، ص١٥٣.
(٢٠) الدوق نيوكاسل: رجل دولة بريطاني. وُلِدَ في عام ١٦٩٣. وَرِث لقب دوق في عام ١٧١٢ عن بيلهام. أصبح عضو مجلس العموم البريطاني. عمل مستشاراً للملك جورج الأول. أصبح وزيراً للخارجية البريطانية مسؤول دائرة الجنوب في عام 1753. أصبح رئيساً للوزراء في عام ١٧٥٤ واستمر لغاية عام ١٧٥٦، ثم اشترك بوزارةً ائتلافية في عام ١٧٥٧ استمرت حتى العام ١٧٦٢. توفي في عام ١٧٦٨. انظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol.16, Chicago, University of Chicago, 1986, pp.425 – 326.

(٢١) بلاك، المصدر السابق، ص ص١٧٢-١٩١.

(٢٢) تم توحيد عرشي اسكتلندا وإنكلترا في عام ١٧٠٧ بعرشٍ واحد تحت أُسرة استيوارت باسم المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى (سيرد الأسم بالبحث بأسم بريطانيا اختصاراً)، إذ تم رشوة النبلاء الاسكتلنديين مقابل دفع إنكلترا مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني من الديون الاسكتلندية. انظر: إيمي شوا، عصر الامبراطورية، ترجمة: منذر محمود صالح محمد، الرياض، العبيكان للنشر، ٢٠١١، ص٢٩٠.

(٢٣) بلاك، المصدر السابق، ص٢١١.

(٢٤) يحيى، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٣٨؛ شيهان، المصدر السابق، ص٨٧.

(٢٦) عبد الفتاح حسن أبو علية، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الرياض، دار المريخ للنشر، ٢٠٠٧، ص١٩٥.

(٢٧) تألَّفت المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية من كندا واقتطعت معاهدة أوترخت عام ١٧١٣ قسماً كبيراً منها ضم اكاديا وجزيرة الأرض الجديدة وخليج هدسون وجزر نوفاسكوشيا ونيوفوندلاند. واقتصرت المستعمرات الفرنسية على وادي نهر السانت لورانس وكوبيك ومونتريال وجزيرة سان-جان وجزيرة رأس بريطانيا. لم تهتم فرنسا بهذه المستعمرات في النصف الأول من القرن الثامن عشر ممَّا وفَّر لبريطانيا الفرصة للتوسُّع فيها. انظر: أ.ل. راوس، التاريخ الإنجليزي، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٤١؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٣٥٠.

(٢٨) جيمس، المصدر السابق، ص٦٨.

(٢٩) نعنعي، المصدر السابق، ص١٥٣؛ نجم، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٣٠) التكريتي، المصدر السابق، ص ص٢٧٣-٢٧٤.

(٣١) المصدر نفسه، ص٢٨٢.

(٣٢) برون، المصدر السابق، ص٣٠٥؛ زهرة زين العابدين زينل، حرب الوراثة النمساوية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠١٧، ص١١.

(٣٣) شيهان، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٣٤) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ٢١٩ .

(٣٥) أندرسون، المصدر السابق، ص ص٣٠٣-٣٠٤؛ موسوعة بهجة المعرفة، مسيرة الحضارة، المجلد الثاني، الكويت، الشركة العامة للنشر، ١٩٧٦، الجزء الرابع، ص٢٨٨.

(٣٦) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢١٨.

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

(٣٨) نجم، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٣٩) التكريتي، المصدر السابق، ص٤٨.

(٤٠) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢١٧.

(٤١) المصدر نفسه، ص٢١٨؛ عصام خليل محمد الصالحي، نشأة العلاقات الدولية وتطورها (١٦٤٨-١٧١٣)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد(٣٧)، ٢٠١٣، ص٤٥٨.

(٤٢) سحر أحمد ناجي الدليمي، سياسة بريطانيا الخارجية تجاه فرنسا في أوربا (١٧٥٦-١٨١٥)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١١، ص٤؛ راوس، المصدر السابق، ص١٤١؛ عبد الوهاب عباس القيسي وطارق نافع الحمداني، تاريخ إنكلترا الحديث والمعاصر، بغداد، د.ط، ١٩٨٥، ص٦٧.

(٤٣) ثريا فاروقي، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ترجمة: حاتم الطحاوي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٨، ص٢٥٢.

(٤٤) تعرضت الدولة العثمانية لهزيمة كبيرة، خسرت أراضي المجر وكرواتيا وسلوفينيا. تولت الدبلوماسية البريطانية دور في الوساطة لعقد الصلح، الذي تم الإتفاق على معاهدة باساروفتز في ٢١ تموز عام ١٧١٨.

انظر: محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة، ١٩٧٦، ص١٠٠؛ دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٤٥) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر.النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأُولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥، ص٢٥٥؛ Edward P. Cheyney, A Short History of England, London, Guinn & Company, 1904, p.542.س

(٤٦) أبو علية، المصدر السابق، ص١٩٦؛ نجم، المصدر السابق، ص ص٢٢٩-٢٣٠.

(٤٧) علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، بغداد، دار واسط للدراسات والنشر، ١٩٩٠، ص١٤٧.

(٤٨) اتبعت بريطانيا تجارة المثلثة للتجارة في المستعمرات الأمريكية والأفريقية وأوروبا، إذ تنقل السفن التجارية البريطانية منتجات المستعمرات الأمريكية إلى موانئ القارة الأوروبية، ثم تنقل السفن التجارية البريطانية منتجات أوروبا إلى موانئ القارة الأفريقية الغربية، فيتم استبدالها بالعبيد، ثم تعود السفن التجارية البريطانية محمَّلة بالعبيد والمنتجات التي تحتاجها المستعمرات الأمريكية الجنوبية لتبادل العبيد بمنتجات تلك المستعمرات (السكر والتبغ والقطن، ... إلخ) التي تنقل إلى بريطانيا لأنَّها ضرورة لصناعاتها، ومن ثم تنقل البضائع البريطانية إلى أوروبا، وهكذا تتكرَّر المراحل. علماً أنَّ الأسطول التجاري البريطاني هيمن على التجارة في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط وبحر البلطيق وغرب وشرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا. انظر: موسوعة بهجة المعرفة، المصدر السابق، ص٣٩٠.

(٤٩) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

(٥٠) جيمس ستانهوب: رجل دولة بريطاني، ينتمي لأُسرة نبيلة من مقاطعة نورثاميتونشاير. عمل بالسلك العسكري، ثم انتقل إلى السلك الدبلوماسي، الذي يعمل به والده يعمل. عمل مبعوثاً لبلاده في هولندا. وأصبح سفيراً لبلاده في بيدمونت ولشبونة ومدريد وفينا وبرلين. ثم أصبح عضو مجلس اللورات. ثم أصبح مستشاراً لخزانة الدولة. انظر: محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من عصر.النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، بغداد، مطبعة دار الجاحظ لطباعة، ١٩٨٢، ص٤٥١؛ نجم، المصدر السابق، ص١٩٦.

(٥١) احتوت الحكومة البريطانية على وزيرا للخارجية الأول مسؤول دائرة الجنوب يختص بشؤون الدول الأوروبية (فرنسا وإسبانيا والبرتغال والنمسا). فيما كان وزير دائرة الشمال يختص بالدول الأوروبية (روسيا والسويد والدنمارك والنرويج وهولندا والأراضي الألمانية). تم توحيد الوزيرين في عام ١٧٨٢ في وزير دولة واحد لشؤون الخارجية. انظر: اوى خالد علي مصطفى، وليم بت والسياسة البريطانية ١٧٨٣ – ١٨٠٦، أطروحة دكتوراه (غيرمنشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٠٧، ص ١٠.

(52) T.H.S. Escott, The Story of British Diplomacy: Its Makers and Movements, London, T.Fisher Unwin, 1908, p.62.

(٥٣) صالح، المصدر السابق، ص٤٥٢.

(٥٤) ثورة اليعاقبة: هي الحركة التي طالبت بحق أُسرة استيوارت بعرش بريطانيا. قادها جيمس إدوارد ابن الملك جيمس الثاني (ملك إنكلترا) (١٦٨٥ – ١٦٨٨) والذي يُسمى باللاتينية جاكوبي. أبحر جيمس إدوارد من فرنسا في عام ١٧١٥ إلى استكتلندا واحتل مدينة ادنبرة، لكنه فشل بالتقدُّم نحو بريطانيا في عام ١٧١٦، فعاد إلى فرنسا. تكررت الحركة في عام ١٧٤٥ مستغلةً انشغال القوات البريطانية بالحرب في أوروبا، فقاد شارل إدوارد (أبن جيمس إدوارد) حملةً إلى اسكتلندا، التي احتلها، ثم زحف باتجاه بريطانيا، لكن الدوق كامبري (أبن الملك جورج الثاني) تمكَّن من هزيمته، واضطر للهرب إلى فرنسا. انظر: جان بيرنجيه وآخرون، أوروبا منذ بداية القرن الرابع عشر.وحتى نهاية القرن الثامن عشر، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٩٥، الجزء الثاني، ص٦٦٦.

(٥٥) يحيى، المصدر السابق، ص٢٥٢.

(٥٦) صالح، المصدر السابق، ص٤٥٣؛ الدليمي، المصدر السابق، ص ص٥-٦؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣١.

(٥٧) نجم، المصدر السابق، ص١٩٧.
(٥٨) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٣؛ أندرسون، المصدر السابق، ص٣١٠؛ محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوربا الحديث (عصر النهضة – الثورة الفرنسية)، بغداد، د.ط، ١٩٨٩، ص١٠٦.
(58) Escott, op .cit, p.62.
(٥٩) يحيى، المصدر السابق، ص١٣٨؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣٢؛ زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث (من مطلع القرن السادس عشر-إلى نهاية القرن الثامن عشر)، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، الجزء الأول، ص ص٢٧٣-٢٧٤.
(٦٠) يحيى، المصدر السابق، ص١٣٨؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣١.
(61) Escott, op . cit, p . 65.
(٦٢) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ص١٨٨-١٨٩.
(63) Ibid, p .66.
(٦٤) صالح، المصدر السابق، ص٤٥٣؛ الدليمي، المصدر السابق، ص ص٥-٦؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣١.
(٦٥) التكريتي، المصدر السابق، ص٢٧٤؛ أندرسون، المصدر السابق، ص ص٢٥٠-٣١٠؛ الادهمي، المصدر السابق، ص١٠٦.
(٦٦) شيهان، المصدر السابق، ص ص٩٩-١٠٢؛ K.B. Smellie, Great Britain Since 1688: A Modern History, NewYork, The university of Michigan press, 1962, p.48.
(٦٧) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ص٢١٩-٢٢٤.
(٦٨) التكريتي، المصدر السابق، ص١٨٤؛ أندرسون، المصدر السابق، ص٤٢٠.
(٦٩) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢١.
(70) Hugh Edward Egerton, A Short History of British Colonial Policy 1606-1909, London, Methuen & Co, LTD, 1971, p.123; Smellie, Op. Cit, p.26.
(٧١) أندرسون، المصدر السابق، ص ٣١٢ .
(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٣ ؛ يحيى، المصدر السابق، ص١٤٠.
(٧٣) ماريا تيريزا: ولدت في عام ١٧١٧. ابنة الإمبراطور النمساوي شارل السادس. تزوجت من دوق اللورين فرانسيس ستيفن. تولّت العرش النمساوي في عام ١٧٤٠. واجهت أطماع الأوروبيين بحزم. اضطرت للتنازل عن جزء من امبراطوريتها لتتمكّن من الحصول على اعتراف الدول الأوروبية بتولّي زوجها المنصب الإمبراطوري. توفيت في عام ١٧٨٠. انظر: احمد محسن عبد سعود البديري، السياسة الخارجية للنمسا خلال حكم ماريا تيريزا (١٧٤٠-١٧٨٠)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٦، ص ص٦٠-١٠٦.
(74) Smellie, Op. Cit, , p . 35.
(75) Egerton , Op. Cit, p. 34.
(٧٦) شيهان، المصدر السابق، ص١٣٢؛ يحيى، المصدر السابق، ص١٣٨.
(٧٧) أندرسون، المصدر السابق، ص٣١٣؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣٣.
(٧٨) روبرت والبول: رجل دولة بريطاني. وُلِدَ في عام ١٦٧٦ بمدينة هوتان من عائلة نبيلة. درس في جامعة كامبردج. حصل على لقب الايرال لمنطقة أورفورد. أصبح عضو بمجلس العموم البريطاني في عام ١٧٠١. تولى مناصب تنفيذية عدّة، منها وزير الحربية في عام ١٧٠٨، تولى مسؤول مالية البحرية البريطانية في عام ١٧١٠. ثم أصبح وزيراً للخزانة البريطانية في عام ١٧١٤ أصبح رئيساً للوزراء وشغل منصب وزير للخارجية في عام ١٧٢١. توفي في عام ١٧٤٥. أنظر: The New Encyclopedia Britannica, Chicago, University of Chicago, 1986, Vol.5, p.194؛ طالب محيبس حسن الوائلي وفهد عويد البهيجي،

السير روبرت والبول ودوره السياسي في بريطانيا ١٧٤٢-١٧٧٦، مجلة لارك للفسلفة والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، العدد(٢٥)، ٢٠١٧، ص ص٣٥٥-٣٥٦.

(٧٩) البابا كليمنت الحادي عشر: هو جيان فرنسيسكو. تولّى المنصب البابوي في عام ١٧٠٠ باسم كليمنت الحادي عشر.إثر وفاة البابا إينوسينت الثاني عشر. دعم طلب الملك الفرنسي. لويس الرابع عشر.لتولي حفيده فيليب الخامس عشر.عرش إسبانيا، ممَّا أثار الإمبراطور النمساوي واحتلت قواته أراضي الدولة البابوية في مدينة روما أثناء حربه مع فرنسا. وتفاقمت العلاقات بين البابا والنمسا في عهد الإمبراطور جوزيف في عام ١٧٠٥ الذي طالب بخضوع رجال الدين لسلطته، واحتلت قواته مدينة روما عام ١٧٠٩. بيد ان البابا اعترف بمرشح النمسا شارل لعرش إسبانيا، ممَّا وتَّر علاقة البابا مع الملك فيليب الخامس، الذي قطع كل الدعم المادي عن مدينة روما والملك الفرنسي، الذي منع البابا من حضوره مفاوضات معاهدة أوترخت عام ١٧١٣. توفي البابا في عام ١٧٢١. أنظر: دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص ص٢١٨-٢١٩.

(80) (Ludwing Dehio, The precarious Balance: The politics of power in Europe 1494-1945, London, Chatto & Windus, 1963, p.87.

(٨١) سياسة فرق تسد : هي السياسة التي تحاول الابقاءعلى حالة الركود الاقتصادي والتفكك والانقسام الداخلي للدول المنافسة لاحدى الدول التي تسعى لخلق الثغرات والأزمات للنفاذ منها للتدخل بالشؤون الداخلية للدول المنافسة لها. أنظر: رولان موسنييه واخرون ، المصدر السابق، ص ٢٢ .

(٨٢) الدليمي، المصدر السابق، ص٧؛ شيهان، المصدر السابق، ص١٣٢؛ يحيى، المصدر السابق، ص١٣٨.

(٨٣) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٥٦؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٤.

(84) (Escott, Op. Cit, p . 66 .

(٨٥) دي فليوري: رجل دولة فرنسي. ولد في عام ١٦٥٣. تدرَّج في السلك الكنسي حتى وصل إلى مرتبة الكاردينال في عام ١٧٢٦. عمل مربي لابن ملك فرنسا لويس الثالث عشر، ثم أصبح رئيس وزراء فرنسا في عام ١٧٢٣ لغاية عام ١٧٢٦. توفي في عام ١٧٤٣. انظر:

The New Encyclopedia Britannica, Chicago, University of Chicago, 1965, Vol.5, p.342.

(86) (Albert Guerard, France: A Modern History, NewYork, The University of Michigan press, 1959, p.192.

(٨٧) هوريس والبول: رجل دولة بريطاني. ولد في عام ١٧١٧. درس في جامعة أُكسفورد. أصبح عضواً في مجلس اللوردات البريطاني. تنازل لأخيه روبرت والبول عن لقب اللورد. أصبح سفيراً لبلاده في فرساي. توفي في عام ١٧٩٧. انظر: The New Encyclopedia Britannica, Chicago, William Benton, 1965, Vol.12, p.476.

(٨٨) صالح حسن عيسى العكيلي، الوجه الآخر للنهضة الأوروبية، محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة ١٤٥٣-١٧٨٩، بغداد، دار الوراق، ٢٠٠٦، ص ١٦٠ .

(٨٩) شيهان، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٩٠) التكريتي، المصدر السابق، ص٥٣.

(٩١) بلاك، المصدر السابق، ص١٧٣.

(٩٢) المرسوم العملي: أصدره الإمبراطور شارل السادس في عام ١٧١٣، تضمَّن التأكيد على حق ابنته ماريا تيريزا في وراثة العرش بعد وفاته. أنظر: زينل، المصدر السابق، ص١٩.

(٩٣) أندرسون، المصدر السابق، ص ص٣١٣-٣١٤.

(٩٤) يحيى، المصدر السابق، ص١٤٠.

(95) (Escott, Op. Cit, p.67.

(٩٦) بلاك، المصدر السابق، ص١٧٣.

)[97] (Escott, Op. Cit, p.71; I. Tenen M.A., A History of England from the Earliesttimes to 1932, London, Macmillan and Co. Limited, 1946, Vol.V, p.345.

)[98] (Escott, Op. Cit, p.72.

(٩٩) موسى محمد آل طويرش، التطور الديمقراطي في بريطانيا ١٠٦٦-١٩٠١، بغداد، مكتبة عدنان، ٢٠١٣، ص١٨٤.

)[100] (Egerton, Op. Cit. pp. 115-117; Escott, Op. Cit, p.72.

(١٠١) العكيلي، الوجه الاخر للنهضة الأوروبية، ص١٦٠.

(١٠٢) التكريتي، المصدر السابق، ص٥٤.

(١٠٣) شيهان، المصدر السابق، ص٧٣.

)[104] (Escott, Op. Cit, p.74 .

(١٠٥)العكيلي ، الوجه الاخر ، ص ١٥٩ .

(١٠٦) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٥٦؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٤.

(١٠٧) فردريك وليم الأول: ملك بروسيا، ابن الملك فردريك الأول. ولد في عام ١٦٨٨ ببرلين. اهتم بتطوير الجيش البروسي وجعل الخدمة فيه الزامية. تولى عرش بروسيا في عام ١٧١٣. قام بإصلاحات إدارية واقتصادية. توفي في عام ١٨٤٠. انظر: The New Encyclopedia Britannica, Vol.4, p. 959.

(١٠٨) بلاك، المصدر السابق، ص ص١٦٦-١٦٧؛ أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٤.

(١٠٩) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٥.

)[110] (Escott, Op. Cit, p.75.

(١١١) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٥.

(١١٢) شيهان، المصدر السابق، ص ص١٣٤-١٣٥؛ زينل، المصدر السابق، ص ص١٩-٢٠؛ صالح حسن عيسى العكيلي، بولندا ١٧٣٣-١٧٩٥ (دراسة في التاريخ السياسي)، أُطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٩، ص ص٤٨-٥٢.

(١١٣) الدليمي، المصدر السابق، ص٨.

(١١٤) المصدر نفسه، ص٨.

(١١٥) التزمت السفن الفرنسية والإسبانية بالتعدي على السفن التجارية البريطانية. تم تجديد المعاهدة في الأعوام ١٧٤٣ و١٧٦١ و١٧٧٣. أنظر: المصدر نفسه، ص٨.

(١١٦) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص ص٢٨٣-٢٨٤.

(١١٧) دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص٢١٩.

)[118] (Escott, Op. Cit, p.76

(١١٩) الدليمي، المصدر السابق، ص ص٨-٩؛ يبيانوف فيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، موسكو، دار التقدم، د.ت، ص٢٠٨.

(١٢٠) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٦؛ التكريتي، المصدر السابق، ص٥٥.

(١٢١) الدليمي، المصدر السابق، ص ص٨-٩؛ مروة مرزة حمزة ناصر، وليم إيرل شاثام ودوره السياسي في بريطانيا ١٧٣٥-١٧٧٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة العراقية، كلية الآداب، ٢٠١٩، ص٤٩؛ Smellie, Op. Cit, p.57.

(١٢٢) جيمس، المصدر السابق، ص١٠٩.

(١٢٣) التكريتي، المصدر السابق، ص ص٣٠-٣١.

(١٢٤) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ زينل، المصدر السابق، ص ص٤٢-٤٤.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ص ٤٥ – ٤٦.

(١٢٦) الأدهمي، المصدر السابق، ص١٠٨؛ أندرسون، المصدر السابق، ص ص٢٨٦-٢٨٧؛ زينل، المصدر السابق، ص٥٠؛ عبدالحميد البطريق و عبدالعزيز نوار، المصدر السابق، ص٢٦٨.

(١٢٧) جون كارتيريت: رجل دولة بريطاني. ولد في عام ١٦٩٠. أصبح وزير الخارجية البريطاني مسؤول دائرة الجنوب. ثم أصبح رئيس وزراء بريطانيا في عام ١٧٤٤. توفي في عام ١٧٦٣. انظر: The New Encyclopedia Britannica Chicago, University of Chicago, 1986, vol. 5 , p . 427.

(١٢٨) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٧.

(١٢٩) جان بيرنجيه وآخرون، المصدر السابق، ص٦٧٣.

(١٣٠) سليمان، المصدر السابق، ص١٤٠.

(١٣١) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٧.

(١٣٢) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ عبدالحميد البطريق و عبدالعزيز نوار، المصدر السابق، ص٢٦٩.

(١٣٣) أندرسون، المصدر السابق، ص ص٢٨٨-٢٨٩؛ نجم، المصدر السابق، ص٦٤؛ زينل، المصدر السابق، ص٧٤؛ ميلاد أ. المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨، بنغازي، منشورات جامعة قان يونس، ١٩٩٦، ص٢٥٦.

(١٣٤) العكيلي، الوجه الاخر للنهضة الأوروبية، ص١٦٠.

(١٣٥) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٦؛
A.J. Grant, Outline of European History, London, William Clowes and Sons Limited, 1958, p.356.

(١٣٦) أندرسون، المصدر السابق، ص١٦١؛ زينل، المصدر السابق، ص١٢٢.

(١٣٧) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٨؛ دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ زينل، المصدر السابق، ص٩٠.

(١٣٨) اندرسون، المصدر السابق، ص٢٨٩؛ زينل، المصدر السابق، ص٩٩.

(١٣٩) الدليمي، المصدر السابق، ص ص٩-١١؛ Guerard, Op. Cit, p.193.

(١٤٠) زينل ، المصدر السابق ، ص ص ٩٤ -٩٦ .

(١٤١) نجم، المصدر السابق، ص١٩٨؛ صالح، المصدر السابق، ص٤٥٨.

(١٤٢) نجم، المصدر السابق، ص١٩٨.

(١٤٣) زينل، المصدر السابق، ص ص١٠٨-١١٥؛ Escott, Op. Cit, p.85.

(١٤٤) أندرسون، المصدر السابق، ص١١٦؛ زينل، المصدر السابق، ص١٣٥.

(١٤٥) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٥٧؛ جيمس، المصدر السابق، ص١١٦.

(١٤٦) وليام فاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة: سعيد جزائري، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٠، ص٦٤.

(١٤٧) زينل، المصدر السابق، ص ١١٥ .

(١٤٨) التكريتي، المصدر السابق، ص٨٤.

(١٤٩) جيمس، المصدر السابق، ص ص١١٦-١١٧؛ زينل ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(١٥٠) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩٠؛ دوبراتشينسكي، المصدر السابق، ص٢٢٨؛ نجم، المصدر السابق، ص٢٦٤؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ زينل، المصدر السابق، ص١٢٠.

(١٥١) بلاك، المصدر السابق، ص١٤٥.

(١٥٢) الادهمي، المصدر السابق، ص١٠٨؛ رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(١٥٣) زينل ، المصدر السابق،ص ١٣٩.

(154) Escott, Op. Cit, p.105.

(١٥٥) زينل، المصدر السابق، ص ص ١٤٠- ١٤٤.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٢.

(١٥٧) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(١٥٨) المصدر نفسه، ص١٧٠.

(١٥٩) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩١.
(١٦٠) عبدالعزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص٢٦٣.
(١٦١) رولان موسنييه وآخرون، المصدر السابق، ص٢٣٠.
(162) George H. Hanna (Translated), Outline History of the U.S.S.R., Moscow, Foreign Languages publishing House, 1960, p.102.
(١٦٣) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩٢.
(١٦٤) يحيى، المصدر السابق، ص١٤٥؛ أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩٣؛ برون، المصدر السابق، ص٣١٨؛ عبدالعزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص٢٦٣.
(١٦٥) شيهان، المصدر السابق، ص١٣٨.
(١٦٦) أندرسون، المصدر السابق، ص٢٩٣.
(١٦٧) ميشيل دوفيز، أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر، ترجمة: إلياس مرقص، بيروت، دار الحقيقة، ١٩٧٠، ص٣٣.
(١٦٨) جيمس، المصدر السابق، ص ص١٢٠-١٢١.
(169) Escott, Op. Cit, p.88.
(170) Joel H. Wiener (Edited), Creat Britain Foreign Policy and the Span of Empire(1689-1971): A documentary history, NewYork, Chelsea House publishers, 1972, Vol.1, p.152; Escott, Op. Cit, p.86.

(١٧١) عبدالعزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص٢٦٥.
(١٧٢) الدليمي، المصدر السابق، ص١٩.
(173) Escott, Op. Cit, p.86.
(174) Smellie, Op. Cit, p.80.
(175) Ibid, p.85.
(176) Escott, Op. Cit, p.88.

(177) Ibid, p. 89.
(178) Smellie, Op. Cit, p . 82 .
(١٧٩) الدليمي، المصدر السابق، ص١٩.
(١٨٠) نوار و جمال الدين، المصدر السابق، ٢٦٥.
(١٨١) الدليمي، المصدر السابق، ص ص ٢٦ – ٢٧.